الناس
مقامات

الكتاب: الناس مقامات
المؤلف: محمد عبد القوي مصيلحي - إيمان الدواخلي
رسم وتصميم الغلاف: عمرو الحو
تدقيق لغوي: أحمد عبد المجيد - إيمان الدواخلي

رقم الإيداع: ٢٢٧٠٨ / ٢٠١٣
الترقيم الدولي: 978-977-6436-47-2

الطبعة الأولى: ٢٠١٤

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

النَّاسُ مَقَامَاتٌ

إيمان الدواخلي

محمد عبد القوي مصيلحي

ن للنشر والتوزيع

مقدمة

روى لنا د.أحمد خالد توفيق في مقدمة كتاب (قصة تكملها أنت) الذي أسَّس له وشارك في كتابته، أن التليفزيون المصري في بداية السبعينات قد عرَض مسلسلًا دراميًا، قامت بتأليفه قائمة من الأقلام اللامعة، جاء على رأسها نجيب محفوظ ويوسف السباعي ويوسف إدريس – مع حفظ الألقاب للجميع – وآخرون. وأن الفكرة قامت على أن يكتب كل أديب حلقة، يضع في نهايتها عقدة ما، ليلتقطها الكاتب التالي ويحلَّها ثم يضع أخرى لمن تلاه، وهكذا، حتى يأتي الدور على كاتب الحلقة الأولى مجددًا، ليكون مكلّفًا بوضع آخر حلقات المسلسل، ومغلِقًا كل الأبواب المفتوحة.

فكرة سحريّة، لكن تطبيقها لم يأت لا على مستوى الفكرة، ولا على مستوى العظماء الذين شاركوا في تطبيقها للأسف. والسبب هو أن لكل كاتب – بطبيعة الحال – أسلوبه الخاص وفكرته ونظرته للأمور. فانتهى المشروع إلى نهاية لم تكن متوقَّعة لا في أحداثها ولا مستواها. لكن الفكرة أسَّستْ لما سُمِّي بعد ذلك بالكتابة التفاعليّة. وهو الإنجاز الكبير الذي استلهم منه د.أحمد خالد توفيق فكرة كتابه سالف الذكر، فكَتبَ بمشاركة خمسة آخرين رواية من أدب الرعب، تولّى كل منهم كتابة أحد فصولها. وتحدث د.أحمد عن هذا العمل الجماعي واصفًا إياه بـ"مباراة دومينو"، يجب على كل مُشارك فيها أن يختار ورقته بعناية، ثم تأتي الخاتمة / القَفْلة بشكل احترافي يتوّج روعة الفكرة، بحرفية التنفيذ.

*****

كتّبْنا – د.إيمان الدواخلي، وأنا – قصص هذه المجموعة منذ عام ونيف، مأخوذين بفكرة الكتابة التفاعليّة، عامدين إلى محاولة ابتكار صنف جديد من أصناف التفاعل الأدبي بخلاف الدراما والرواية، وهو القصة التفاعليّة القصيرة. فوضَعْنا معًا خمسة نصوص متفاوتة الطول، في تجربة (هات وخد) سريعة، لو اتبعتُ طريقة د.أحمد خالد في التشبيه، لوصفتها بمباريات البنج بونج!

يتضمّن الكتاب كذلك بعض القصص بقلمي، وقصص قصيرة وأخرى قصيرة جدًا للدكتورة إيمان الدواخلي، رتّبناها في تسلسل معيّن، يفصل الأعمال التفاعليّة – لُب المشروع – عن بقية النصوص. في محاولة لإعادة عرض قلمينا على حضراتكم بشكل منفرد، تاركين لكم الفرصة لتخمين هوية كاتب كل مقطع من مقاطع القصص التفاعلية.

هي تجربة نتمنّى أن تنال رضاكم، ولكم منّا كل الحب.

محمد عبد القوي مصيلحي

الباب الأول

قصص تفاعلية..

بقلم المؤلفَين

إسكيمو

أتأملهما في تركيز، فقد ناما ولن ينتبها لبحلقتي. تدفن رأسها في صدره، يعرف أن الجو ليس باردا جدا، فالتكنولوجيا لم تترك مكانا في العالم حتى هنا. يعرف أيضا أن البرودة هنا ليست فقط من الجو.. رأيت ذلك أكثر من مرة حين يطيلون مكوثهم بعض الشيء. حسنا.. هم مصدر رزقي على أي حال.

أرفع عيني عنهما، وأرسلهما عبر الزجاج السميك إلى الظلام بالخارج.. أستدير مجددا، لأغلق التلفاز، فقد مللته، وهما قد ناما. قبل أن أضغط الزر، يشدني المشهد.. هذان العاشقان الرامحان في المروج المشمسة!

شمس غير التي نعرفها هنا، تشرق وتغرب بلا أزمات..

ينقلب المشهد بعد أن قتلني، فأعطيت الأمر للتلفاز كي يكف عن العمل..

منذ زمن وأنا أسمع تلك الكلمة.. قرأتها مترجمة عبر أكثر من خمس لغات.. رأيتها مكتوبة فيما يقرب من نحو مليون مرة، وتخيلتها مليارات المرات.. الغروب..

يقولها الناس الآخرون – الوافدون – للتعبير عن تلك اللحظة التي تتوسط ما بين تعلق الشمس في الثلث الأخير من السماء، والظلام التام.. عن لحظة شديدة الرومانسية بين حبيبين.. قد تكون تلك هي لحظتهما الأخيرة معًا.. وقد يقصدون بها انتهاء عهد أو زمن، وبداية آخر جديد

نظيف مشرق.. ينتظر المسلمون الغروب بشغف أحيانًا ليتمكنوا من تناول الطعام والشراب.. ويخاف آخرون من مقدمه، لأن معناه عدم استطاعتهم الخروج إلى الشارع.. تلك اللحظة تعني الكثير عند معظم الناس.. لكنها هنا – في هذه البقعة من العالم – لا تعني أي شيء بالمرة..!

أرفع عينيّ مجددا إلى تلك الشابة.. بهتت وجنتاها كثيرا عن يوم مجيئها.. لتلك الحمرة سحر على قلبي وشهواتي، أفتقدها في نساء موطني كثيرا. أشرد أكثر.. أيجيء يوم أتحرر فيه من مواطنة هذه الأرض، وأنطلق نحو الشمس؟.. أم سأظل أقود زلاجات الكلاب لأولئك السياح على مدى العمر؟

ذلك الشاب، بعد أن بادلني الحديث بعض الوقت، قال إنني أحتاج للجوء لمختصٍ نفسي.. قال: "في الحقيقة، أتعجب ألا تكون المساعدة النفسية جزءًا من روتين حياتكم.. ممتعة لنا كسياحة، لكن لا أتخيل دوامها.. في الواقع.. بدأت أشعر بحنين مرضي لوطني، لم يحدث لي أبدا في ترحالي، وهاتفت طبيبي في نيوجيرسي،فطمأنني أن الظروف هنا تفعل هذا بالكثيرين.."

لم انتبه لمعظم كلامه، برغم إجادتي للإنجليزية.. ربما كان السبب أنني لم أعطه كامل انتباهي، فقد كنت قد اعتدت ذلك الحديث.. يتكرر على لسان معظم الوافدين، وفي كل مرة يترك بداخلي أثرًا أعمق غير مستحب.. بالنهاية كلهم يرحل.. في النهاية لا يبقى هنا سواي..

والثلج.. والمزيد والمزيد من الثلج..

اختلست نظرة جديدة إلى الفتاة، كانت قد استيقظت، وتتبادل الهمس مع رفيقها. بدا عليها أنها توافق فتاها فيما أشار إليه.. لكنها كانت أكثر شجاعة، فهي برغم كل شيء تعلم أنها راحلة خلال يومين.. ولا بأس من بعض التغيير.

حين أتى موعد العشاء، قررا أنهما لن يتناولا أسماكًا، وبالطبع لن يقربا لحم الرنة المجفف ثانية.. لقد كادت الفتاة تقضي إثر تجربتها الأولى!

كانا يحملان بعض الفواكه المعلبة، وقد عرضا عليّ مشاركتهما الطعام، فقبلت بلا تردد..

أخرجت بعض أكياس الأعشاب من كيسها – كعادتها – وطلبت مني الماء المغلي.. ذلك الزنجبيل الحار يحبانه كثيرا، يشعرني بالدفء أيضًا. يقولان لي إنه يطيِّب المزاج. يقفز إلى رأسي سؤال، فأتردد قليلا، ثم أسألهما:

"ما الذي أحتاجه لأستطيع الانتقال معكما؟.. يتفاجآن، ثم ينفجران في الضحك. تبا لهما.. الأمر ليس مضحكا على الإطلاق.. لكن إجابتهما وصلتني أن لا مرحبا بي.

تلك الفتاة المملة الباردة كهذا الوطن تناديني في الخارج. لا أدري لماذا التفتُّ مع صوتها إلى بشرة السائحة التي تعدم حمرتها مع الوقت هنا، ثم شعرت لأول مرة أن لا ذنب لفتياتنا أيضًا.

أخرج دون أن أهتم بطلب الإذن، لكنني لا أستطيع كتمان سعادتي بذلك الطعم الرائع الذي تغلغل إلى روحي مباشرة..

دب صغير ينتظرني بالخارج.. برغم ملامحها الدقيقة، إلا أن الفراء الذي تلفّعت به زاد من حجمها أضعافًا.. وانعكست أضواء الشمس على الثلوج إلى عيني، فاضطررت إلى تضييق حدقتي.. كنا لم نزل في موسم النهار..

تتأملني بنظرة باردة..

"إلى متى ينويان الإقامة..؟"

أحكمت وضع القلنسوة فوق أذني، وعقدت ذراعي..

"منذ متى تهتمين بهذه الأمور؟.. على كل حال لن يستمروا في الإقامة هنا لأكثر من يومين.."

تأملتني بعينيها الزرقاوتين الزجاجيتين، وهي تقول بلهجة تعمدت أن تكون لا مبالية، لكنها لم تنجح..

"أعرف أنك تفكر في الرحيل.. على كل حال لا يعنيني هذا، ولكن لا أظنهم يقبلون بمثلك بينهم على أي حال!"

وجمت للحظة، ثم تركت الباب مفتوحًا، وتركتها واقفة تنفث دخان الحنق.. وغادرت منصرفًا إلى الخارج، عامدًا أن أصدمها بكتفي في شيء من الغل..

امتلأ وعيي بذلك اللون السخيف المحبط، الخالي من الحياة.. الناس.. الأرض.. السماء.. البيوت.. الفراء.. الزلاجات..

ألقيت بقطعة فاكهة كانت معي إلى كلاب الهسكي الرابضين بجوار الزلاجات في استكانة، فلم يحرك أيهم ساكنًا.. تبًا!

*****

عند الشمس، يتلون قلب الزهرات.. يتبخر زيتٌ يهدينا عطره زخات.. ويضخ الدفء اللون الأحمر في الوجنات.. ونحس سويا ببرودة لطف النسمات.

أما الليل.. الفضة تصبغنا نحن وكل الأشياء.. ونجوم قامت تتبارى فنَّ الإعياء.. كي تبدو واهنة جدا.. مغرية جدا للأعين.. كي نحلم بمصيرٍ واهم.. أو محض هباء.

الأبيض بارد جدا جدا.. لون الأكفان.. ويقال صفاءً، وأجده شر الألوان.. لو تسأل بنتا أو تسأل زمرة صبيان.. فستجد الأحمر والأخضر.. والأزرق ممكن والأصفر.. اللون حياةٌ تبهرك، والزاهي أمان.

*****

الحلم يملكني.. وأسعى في جنون كما مسحوري الأساطير.

ككل مكان في العالم، لدينا الخارجون على القوانين، وإن لم تسن القوانين. وها هو جواز سفري في يدي، يحمل جنسية أكثر دفئا، فلن تقتلني التجربة بأكثر مما أنا ميت.

أبي، إذ علم بما انتويت، عاملني كالخائن.. قال:

"من يتمرد على منبته ينقطع جذره."

ورددت عليه متهكما:

"ألا ترى الزروع في أرضك لا لون لها؟!"

ورأيت الحزن في عينيه يصمت، فأدرت وجهي.

*****

" ..أغطيتي بيضاء..
والوقت والساعات والأيام..
كلها بيضاء..
فهل من الممكن
يا حبيبتي
أن تضعي شيئًا من الأحمر
فوق الشفة الملساء...؟"

هكذا قال شاعر من شعراء العرب ذات يوم، يدعى نزار.. وأظنه يعرف جيدًا بما أشعر الآن. أشعر بنيران الغربة تلتهمني.. تذيب جلدي كالشمع السائل، وتصل إلى أعصابي وعظامي، محيلة إياهم إلى جمرات متقدة. بالرغم من أنني لم أر أرضًا أخرى، فقد ولدت هنا وهنا نشأت.. وأعرف أنني سوف أموت هنا مهما تمنيت العكس.. إلا إنني أشعر بعدم انتمائي إلى هذه البقعة الشاذة من العالم.. أريد أرضًا وماءً ورمالًا ساخنة.. أريد أن أنام وأستيقظ، فأعرف أن الزمن يمر بمجرد النظر إلى زجاج النافذة!

أحلم بلحظة الغروب.. وبفتاة دافئة تستحق أن تحتل موقعها بين ذراعي خلال تلك اللحظة. فتاة يحمر وجهها ويسخن، لا فتاة تزفر البخار كالقاطرات!

أرمق السماء البيضاء الشاحبة.. أعرف أن الغروب سوف يبدأ خلال أيام، فلأعد العدة لاستقباله بما يليق إذن..

*****

قابلني العديد من الناس أثناء توجهي إلى هذا المكان الذي اخترته لتنفيذ لعبتي.. رأيت في مقاطع مصورة، مراحل نمو الزهور، حين تعرض بشكل سريع.. وعرفت بهجة النظر إلى مشهد كهذا؛ من خلال مراقبة أعين الوافدين.. فلم تكن الزهور على القدر الكافي من الجنون كي تنبت هنا!

اندهش معظمهم من تلك الأشياء التي أحملها معي، لدرجة أن بعضهم حاول إيقافي لسؤالي عما أنتوي فعله.. برغم أن هذا ليس من طبائع الناس

في تلك البقعة من الأرض، حيث أدى الجليد، المتراكم على مر القرون، إلى زحف البرودة فوق أطراف وأفكار ومشاعر الخلق..

لم ألتفت إليهم، ولم آبه بالرد على أسئلتهم اللحوحة، فقد كانت لدي مهمة لابد من الإعداد لها.. اشتريت من الفتى آلة تصوير رقمية كانت معه، زيادة على الأخرى، التي كان يستخدمها طيلة الوقت، وكأنه يرصد المعجزات الخوارق. أوصلتها بقرص صلب، حتى أمنحها مساحة لا تنتهي من الذاكرة.. ووضعت العديد من المرشحات أمام العدسة حتى لا تتلف، ثم وجهتها نحو الشمس.. لو قال لي الوافدون إن المشهد الحقيقي هو تقريبًا ما توصلت إليه، فلن أهتم بالرحيل بعد هذا.

*****

مجنون أنا، أو كدت.. كل ما يمكنني أن أملأ به هذا الجسد قمئ اللون كي يتيقظ ويكمل مهمته حتى نهايتها. ملأته به.. خليط في معدتي من نبيذ، وأعشاب هندية، ودواء منبه حصلت عليه من بعض السياح. يجب أن أجد الألوان؛ إن كان لفرصة البقاء في هذا التابوت الأبيض الكبير مكان. تلك الآلة في يدي أعاملها كالإله، فهي وحدها من ستلبي دعائي، وتمنحني زمنا مختلفا، وغروبا دافئا. يلعب الإبليس في وجداني أحيانا، بكون الصورة التي سأحصل عليها ليست حياة، وليست مشبعة.. لكن شيئا ما يجعلني أقاومه.. ربما هو انتماء مخفي في العمق، يخنقه تمردي؛ ولكنه يراوغ لإلهامي الحيلة

المقنعة بالمكوث. يقولون عنا إننا ضحايا الثقة المفرطة في قدراتنا.. وأنا – وإن تمردت – من أصحاب تلك الثقة القاتلة.. إرث في خلاياي لا أنكره.

كان الحل الوحيد الذي تخيلت أنه قد يصلح، هو العرض بتسريع الكادر.

الأيام مرت.. والغروب قد حان.

*****

ألوان.. ألوان.. ألوان!

يتحرك ذلك القرص الأبيض بانسياب، فوق صفحة السماء الناعمة كنهر هانئ يهفو إلى النعاس، وليست به رغبة ولا طاقة للعراك.. كذلك ينسحب الشحوب من وجه القرص تدريجيًا وتتدفق الدماء في وجنتيه، فيستحيل من الأبيض إلى الأحمر بشكل تدريجي، لا تصدق إمكانية حدوثه ما لم تتابع مراحل التحول بمنتهى التركيز واليقظة.. لون السماء مدهش حقًا وكأنني لم أره من قبل. أدخنة زرقاء تتصاعد في الجو ووتتبدى في الأفق، يطلقون عليها الشفق القطبي، في أراض أخرى.. أعتقد أن جودة آلة التصوير كانت أعلى من هذا حين بدأت التجربة.. هل أصاب عدستها العطب من طول تعريضها للشمس، أم أنني من فقد صفاء حواسه من طول السهر؟!

برغم ذلك أستطيع رؤية بلورات الثلج تتألق بمزيج فريد من الألوان، وتلتمع كحبيبات الماس. أمد يدي المرتجفة بفعل النشوة إلى زجاجة المياه،

ثم أشعر بالعزوف وبأنني جائع ولست عطشًا!.. ألقي بالزجاجة وأنا أتحدث إليها بحنق.. كلمات لم يفهمها أي منا، لكنها نفثت عن بعض ما يعتمل في داخلي من الـ.. الأدخنة الملونة!.. تتصاعد وتفترش الثلج، بينما تهبط الشمس بتؤدة ممتزجة بالثقة. ملكة تتفقد الرعية من فوق شرفة قصرها، قبل أن تقرر النزول والانضمام إليهم. تحتشد خلايا مخي بالأدخنة الملونة، وأزفر اللون الأزرق في عمق، وكأنني أطلق سراح الكون ليبدأ الانطلاق والمرح.. أتنهد في نشوة عارمة وتنتفض أطرافي.. أبتسم وأهز رأسي بقوة، وكأنها ذروة جديدة تكتشفها تفاصيل روحي وجسدي للمرة الأولى.. دفقة من الطاقة فاقت مقاومة أسلاكي العصبية.. تتسع ابتسامتي.. يغوص القرص أكثر، ويكاد يقترب من حافة الجليد.. أتنفس ببطء وتلذذ.. تتلاعب الأدخنة بداخلي، وتحملني حملًا إلى الفضاء.. أرتفع أنا، وينخفض القرص.. تكسو الحمرة الوجود.. تتسع ابتسامتي، ويضيق مجال الرؤية.. يبدأ السواد في غزو أطراف الشاشة لسبب ما.. ليس بسبب حلول الظلام، لأنه بدأ يغزو مجال إبصاري بالكامل.. كان المصباح يعمل منذ قليل بشكل جيد.. أنظر حولي، لا أرى أي شيء.. إن أسبوعين بلا نوم لهو شيء.. شيء.. تتسع ابتسامتي أكثر، وأغمض عيني، فلم تعد بي حاجة إليهما.. أمد أصابعي تتحسس موضع آلة التصوير، كي تربت على رأسها في رضا.. طفلة طيبة.. أنقلب إلى الخلف، فاردًا ذراعيّ على اتساعيهما، وأترك ظهري يلامس الجليد.. أتحد مع الأرض، لا أقدر على تحريك عضلة واحدة.. أستسلم.. ربما أسيتقظ ثانية، وربما لا أفعل.. لا أستطيع إيقاف الابتسامة عن الاتساع أكثر.. تلتهمني تمامًا.. أغيب.

وجهات نظر

مرت بي.

أعني أنني رأيتها تمر من أمامي، فلست على هذا القدر من المبالغة، لأزعم أنها عدم.. كانت تحمل طبقًا مليئًا بالتفاح الأخضر، وسكينا صغيرا.. ومرت بين شاشة التلفاز وبيني، لتحتل ذلك المقعد البعيد نسبيًا..

بويزن!

أذكر ذلك العطر، ولكن من المدهش أنها لا تزال تذكره.. خلتها توقفت منذ زمن عن الاهتمام بكل ما يذكرني بها، حين كانت...

"ما أخبار العمل..؟!"

تلقيت سؤالها الشائه، الذي اختلطت مقاطعه بقطع التفاح المقشرة.. فأجابها جزء مني، بينما انهمك الجزء الآخر – الأكبر – في محاولة الذكر.. متى كانت المرة الأخيرة التي نظرت إليها، فرأيتها كما كانت أول مرة.

"هدى.. هل أتاني بريد بالأمس..؟!"

*****

تعمدتُ أن أمر بينه وبين التلفاز لأقطع تركيزه، وألفِته لي..

كأنني طيف.. حتى ذلك العطر الذي كان يعشقه لم يحركه..

التفاح... خطيئة آدم.. لا يلفت نظره..

أظنه أصبح ذاتيّ الاستمتاع.. نعم.. وإلا فبم يسمى رد فعله؟.. إنه يسألني عن بريد الأمس!

يبدو أن حياتي قد خلت من رجل.

*****

لا أصدق..

لقد ألقيتُ بالكلمة بشكل يبدو تلقائيًا، إلا أن ردة فعلها، المبالغ فيها، أكدت صدق ظني..

سعلة مفاجئة، واحتقان.. دموع وسعي محموم نحو كوب من الماء، أناوله لها، وأتأملها في انتظار نهاية الاستعراض..

منذ متى تكذبين يا هدى؟

لماذا أخفيت عني ذلك التقرير؟

لو لم أهاتف الطبيب لما عرفت ..

نظرة إليك أعادت إلى روحي الكثير مما قد مضى وانتهى أجله بيننا.. وللحظة تمنيت أن أقترب منك، وأستمتع بتعبير التوتر الخجول، الذي كان

يغلف تقاسيم وجهك قديمًا، كلما هممت بتقبيلك.. حين كان يعلو صوت تنفسك، ويزداد معدل خفقان قلبك، وتدمع عيناك..

أهز رأسي آسفًا، وأمنحك منديلًا..

ترتجف شفتك السفلى، وتقولين بمنتهى الثقة..

"لا، لم يصل شيء"...

*****

إنه يتمنى أن يجد حجة.. لست مريضة وليست بي علة تمنعه..

تتوقف قشرة التفاح في حلقي فأسعل بشدة.. يسارع لإحضار كوب الماء، ويرسم الفزع كأنما عدنا لفيلم قديم، أصيبت بطلته بالسل.

حسنا.. برودته أصبحت كبرودة الشتاء.. وأنا أعقل من أن أطلب الدفء في حضن الشتاء.

فليكن أسوأ ما يستحقه أن يصدق ظنه ويحياه.. ولأعش أنا حيث لا يرى، فدمائي أبدا لا تنبع من بئره.

*****

لا أتحمل اللوم بهذه الطريقة، إنها تصر على تعذيبي بتلك النظرة الكسيرة. لماذا يكذب الطبيب إذن؟!

تمنحني كوب الماء، أعيده للمنضدة شاردًا، ويفوتني الهدف.. لا أبالي..

"اتصلت اليوم بابن عمك، دكتور عماد"

تخرج الحروف من بين شفتي مدغمة المقاطع..

تلمع عيناها بالفهم أخيرًا.. تقترب مني، وقد سالت دمعة على وجنتها، وجدتها حلوة المذاق..

*****

ألا يزال على اتصال بذلك الأفاق؟!.. لا يقتنع أبدا بأن المهن الشريفة لا تعني دوما ممتهنين شرفاء.

ابن عمي نعم.. ولكن بيننا ثأر قديم.. العجيب أنني من ظُلمت، وهو – الظالم– من يريد الثأر!.. هو من فسخ الخطبة، ولجأ لتلك الساقطة مرتضيا عشقها بديلا عن الزواج بي. والآن.. لا يعجبه أن تمضي حياتي وتنجح بدونه، ويحوم حول زوجي مستغلا طيبه.

طيب!.. أي طيب ذلك الزوج!.. لو لم يكن يريد التصديق ما صدقه.. حذرته منه.. حكيت له عنه الكثير.. ولكنه يسمع منه أكثر..

لن أجد له أعذارا، فلقد اختلقتها طويلا.. إن كان ابن العم خبيثا، فخبثه لا يخفى على فطنته، ولكنه يرتاح لأفكاره ويركن لها.

يلتمع التحدي في داخلي.. أقرر استعادته من سيطرة ذلك الأفاق.. أقترب منه.. وتسيل دمعتي غضبا من نفسي، ولكن ربما ليس سيئا، فقد يظنها ضعفا يستميله.

عجبا.. إنه يتذوق دمعتي.. يتلذذ بها.. سادي لا محالة.. لا أريده.. لا أريده أبدا.

*****

تستكين بين ذراعي دافئة، كيوم أصبحَت لي. يأسرني تبدل الحال على هذا النحو العجيب.. وأشعر بأنني ظلمتها.

أمرر أصابعي على كتفها، فترتجف كهرة مبتلة، ثم تعود للسكينة.. "لقد اخترت هذا الطبيب لأنه قريبك.."

"لم يكن ثمة داع للذهاب إلى طبيب من الأصل، من قال إن شيئًا ينقصني بجوارك..؟!"

زحف الدفء إلى بدني فور سماعي عبارتها الأخيرة..

العطر يتسلل إلى روحي مباشرة، موقظًا في طريقه كل ما يمر به من مشاعر أو ذكريات أو صور لنا معًا..

وأشعر أنها تكفي، ولا أريد من الدنيا سواها..

تنهمر دموعها بغزارة أكثر، فأشعر بالذنب أكثر وأكثر.. انهال على وجنتيها وشفتيها وكل تفاصيل وجهها بشفتي، لألتقط تلك اللآلئ، خشية أن تسقط وتضيع مني إلى الأبد..

أريدها.. أريدها كما لم أردها من قبل.

*****

ما كل ذاك التأثر والحنان؟.. للأسف لا أصدقه.. لكن ضفتي النهر هما ذاك.. إما بر الصدق، فأخسره.. أو الكذب.. عليه.. على نفسي.. على كل حقيقة في الوجود.. من أجل أن أظل زوجة..

يعصف بي السؤال.. أيستحق الأمر؟.. أتأمل جنونه.. إنه يريدني.. شبقه يشتعل.. جنون تملُّكه لي يثيره..

ألتفت إلى الصغير النائم كالملاك.. أكتب المعادلة بخيالي في الهواء..

إشباع أمومة + إشباع جسد = إمكانية أن نستمر..

أبتسم له.. حسنا يا عزيزي.. اسعد واغتر.. فأنت مخدوع بزوجة كاذبة.

بطاقة شخصية

اليوم رضي محمود أن يعطيني بطاقته الشخصية، لكي أراها عن قرب وألعب بها، بعد أن وعدته ألا أضعها في الماء..

ماما تصف محمود دائمًا بأن لديه "شخصية" مستقلة.. تقول هذا وهي تبتسم، فأعرف أن هذا شيء جيد.

– يا محمود خد بطاقتك من إيد يوسف.. البطاقة دي يعني انت، يعني هويتك.

– حاضر ما تخافيش أنا واخد بالي.

أنظر إلى تلك الورقة.. يبدو أنها مهمة جدًا.. لمحني محمود وقد ارتسم الجد على وجهي وأنا أبحلق في صورته.. ابتسم وشرح لي..

– صورتي هنا علشان البطاقة بتقول للناس مين أنا.. لما تكبر هيبقى عندك بطاقة..

يسحبها مني في رفق.. وتنادي أمي كريم كي يأخذ طبقي ليطعمني. حين يقولون يوسف أعرف أنهم ينادونني، لكن جارتنا طنط وفاء لم تعرف اسمي إلا حين أخبرتها ماما.. لماذا لا أحصل على شخصية مثل الكبار؟!

يحاول كريم إطعامي وهو يبتسم في سماجة، هل أرفض وأقول له إنني أستطيع تناول الطعام بمفردي؟

إن الملعقة ثقيلة.. سوف أدعه يفعلها هذه المرة..

يدق جرس الباب.. إنها طنط وفاء – كأنها سمعتني أذكرها – تداعبني بيدها ثم تدخل إلى أمي بالمطبخ، وتتحدثان كثيرًا. بينما ألعب بتلك السيارة الصغيرة، ويحشر كريم الطعام في فمي، أسمع من كلامهما ما أفهم منه أننا سنذهب لأبي قريبًا.. فأبتسم.

– محمود أنا وكلته، أنت اغسل له إيده.

– طيب!

– انت اللي هتاخده معاك بكرة على فكرة، أنا أخدته معايا المرة اللي فاتت..

يتأفف محمود، ولكنه يومئ برأسه موافقًا.

أشعر بأنني تمامًا كتلك السلة التي تجمع فيها أمي الغسيل. يتبادلون تحريكي مثلها تمامًا حين تحملها أمي وتتنقل بها من حجرة إلى حجرة.

حين أرى بابا، سوف أسأله كيف أحصل على شخصيتي.. محمود لا ينزل الشارع بدونها، وحين رآها الضابط عرف اسمه دون أن يخبره وسمح له بالمرور.. كريم كذلك يقول إنه سوف يمتلك واحدة بعد أشهر قليلة.

هل يجب أن أكبر مثلهما للحصول عليها؟.. وعندها يمكن أن أخرج وحدي، وتصير لدي شخصيتي المستقلة.. وأغدو كالكبار..محمود يغسل

يدي ويدعني في الصالة، أتوجه نحو المطبخ من أجل إخبار طنط وفاء بخطتي.. لكن ماما ترفع صوتها فأنصرف دون أن أفهم ماذا تريد..

*****

إننا في المطار.. أمي ترفعني أمام ضابط وراء شباك زجاجي لتريه وجهي، وهو يبتسم لي وينظر إلى ذلك الدفتر الأخضر.. أبتسم، ففي هذا الدفتر صورتي، وهو بالتأكيد يتعرف عليّ منه كما فعل مع أمي وأخوتي.. لكن لا.. يظل إصراري أنه ليس شخصيتي، فالشخصية في تلك البطاقة الصغيرة التي ليست لديّ بعد.

لا أخاف الطائرات لأن ماما معي دومًا.. الطائرات ممتعة، والسحاب الأبيض يبدو قريبًا.. حين نرى بابا سوف أخبره عن السحاب وعن الطائرة.. وعن الشخصية!

هناك أشياء كثيرة أريد أن أسأل بابا عنها..

في صالة الوصول الواسعة المزدحمة، كان هناك كثير من الناس يبتسمون ويبكون، لكنهم لا يعرفوننا.. أردت أن أنزل وأركض، لكن ماما حملتني بقوة ورفضت.. رأيته يصافح ماما ويتحدث معها ضاحكين.. تغير شكله أو إنني نسيت.. كان لديه شارب والآن لم يعد لديه.. ضم كريم ومحمود بقوة وهو يبتسم، ثم حملني وحدي..

لم يحمل محمود ولا كريم ولا ماما لأنهم كبار..!

*****

أيام مزدحمة بالتنقلات بين فحوص وإبر في يدي وتصوير لي – أنا وأمي وإخوتي– يتحدثون عن إجراءات الإقامة، فهمت أننا لكي نبقى مع أبي يجب أن نفعلها. هوّن كل ذلك عليّ التقاطي لكلمات أبي والمصور يلتقط لي الصورة.. "خلفية بيضا علشان البطاقة المدنية".

وقتها أحسست بفورة تتصاعد لرأسي من شدة الانفعال.. هل سيحدث حقا؟.. سيكون لي بطاقة؟!

ابتسمت في غرور.. ستكون لي شخصية وأنا بهذا السن، وهم لم يسمح لهم بها إلا وقد خطت شواربهم.

أنا فرحان جدًا، يندهش أبي من حماسي وضحكي المتواصل، هو لم يعتد هذا.. وغالبًا ما يراني أبكي أو (أزن) على حد تعبير ماما.. كلهم سعداء بلم الشمل، عدا كريم.. يبدو مكتئبًا بعض الشيء.. ربما لأنه ترك أصحابه هناك..

*****

نحن ننتظر بابا.. قال إنه سوف يحضر لي شخصيتي الجديدة ولن يتأخر.. ها هو قد حضر بالفعل.. يكاد الانفعال يخنقني.. أصرخ!

أركض نحوه، فيحملني خشية أن أتعثر وهو يضحك، ثم يخرج البطاقات ويعطيها لأمي، دون أن يحفل بأن يريني إياها.. قلقي يكاد ينقلب ذعرًا!

أتعكر قليلًا.. ينزلني أرضًا.. ماما تنادي كريم ومحمود، وتعطي كلًا منهما بطاقته، الأخرى تركها محمود هناك مع الأشياء الأخرى والملابس الصوفية.. توصيهما بالحفاظ عليها. تجلسني على فخذها وهي تداعبني، فأشعر بالرغبة في الانفجار باكيًا. يهتف محمود منقذًا إياي..

– هي دي بطاقة يوسف؟.. هاتي أشوفها.

أتوقف عن الاهتزاز، وأشرئب.. محمود يقربها من وجهه ويتأملها باسمًا.. أرفع يدي مغضبًا أحاول نيلها، فيقربها من وجهي وهو يبتسم..

– أهي ماتزعلش..

أتناولها بفرح.. أتأملها غير مصدق، أقلّبها على وجهيها.. أصبر قليلًا، لا تريد الصورة أن تظهر.. ألقيها أرضًا بعنف وأنفجر باكيًا بصوت عال..

ألا يفهمون؟ أمي تحاول تقبيلي.. أبتعد باكيًا عن مرمى شفتيها.. البطاقة خالية من صورتي.. لا تحمل شخصيتي مثلهم!!

يتساءل محمود:

– هو زعلان عشان بطاقته مافيهاش صورة ولا إيه؟!

– مش هاتبقى فيها صورة غير لما يكبر شوية، هو لسه ماتمش ٥ سنين.. أجيب له ألبوم الصور من جوه يلعب بيه؟

ألعب!!!

ولم يفلح أحدهم في إسكاتي!!

مناورة

براقًا كان، وسيمًا لامعًا متأنقًا أكثر من اللازم.. لكن نوعًا من الطاقة السلبية كان يخيم فوق المائدة التي تجمعه بها، بدا مهمومًا كأنه لم يعد يطيق صبرًا، فلم تستطع مقاومة سؤاله عما يشغله

– مش معايا انت خالص!

تأمل وجهها طويلًا بنظرته المتفحصة، وكأنه يحفر ملامحها بأعماقه.. بدأ متنقلا بين عينيها، وأستقر للحظات عند شفتيها المكتنزتين، قبل أن يصعد نحو العينين المتسعتين فضولا مرة أخرى:

– بالعكس.. أنا معاك جدًا.. تعرفي إيه المشكلة الحقيقية في مجتمعنا؟!

ومضي يكمل دون أن ينتظر منها إجابة..

– انعدام الصراحة وبالذات مع النفس، كأن كل واحد بيخاف يعترف لنفسه هو عايز إيه فعلًا!!

هي تعرفه منذ فترة ليست بالقصيرة.. وراء كلماته هذه شيء لا علاقة له بالمجتمع، ولا فلسفة الصراحة مع الذات.. تقرر التغابي وتسأله:

– ما اعتقدش.. الإنسان مش محتاج يعترف هو عايز ايه، لأنه بيبقى عارف.. لكن ممكن يبقى مدرك أنه غلط، فيداري سواء عن الناس أو عن نفسه.

ابتسم فيما يجمع بين المرارة والحكمة، قبل أن يقول..

– وهي دي الأزمة، إيه مصدر إحساسه بإنه مخطئ، الدين، المجتمع نفسه.. ولا الضمير

التلاتة اللي صعب في زمننا يتفقوا على مبدأ واحد للأسف!

– واللي رغباته ضد المجتمع والدين والضمير، ممكن صراحته في إبدائها يبقى حاجة كويسة أصلا؟!

لم يستطع كتمان ضحكة أفلتت منه عفوًا، ثم قال مستمتعًا باللعبة..

– بالنسبة للمجتمع ماينفعش نعتبره مقياس أصلًا للصح والغلط، لما أقول لجدتي بلاش تروحي المقابر تزوري جدي، واقري له الفاتحة في بيتك عشان حرام على النساء زيارة المقابر.. تقول لي ماينفعش ما أروحش، الناس تقول إيه؟!

هو ده المجتمع اللي تستأمنيه على الحكم على سلامة أفعالك ونواياكِ..؟!

– ما قلتش كده.. بس هل ممكن كل إنسان يتصرف برغباته على أنها قوانين مشروعة التنفيذ؟ طيب ما كده المصالح تتضارب وتقلب غابة وفوضى و... انحلال

مش كده برضه؟

– بالتأكيد مش بالصورة اللي انتي متخيلاها، طب تعالي نضرب مثل بسيط..

انتي في حفلة مثلًا، تمام؟.. وشفتي شاب لفت انتباهك.. كان لطيف وابتسامته حسستك إن الحياة مكان أفضل.. بس!

تخيله لو انتي فعلًا حسيتي ناحيته بنوع من الامتنان، وحسيتي إن من واجبك توصلي له الفكرة دي.. تفتكري هيفهم تصرفك على النحو السليم، أو ممكن يتهمك في سره إنك بنت مستهترة؟!.. تفتكري ممكن يبقى رد فعله طبيعي ولا جايز يطالبك بحاجات انتي مش مستعدة لها ولا عايزة تقدميها أصلًا؟!

تضحك بشدة.. لقد بدأ الولوج لما أراده منذ البداية.. ساذج متذاكٍ هو..

– ما ده حسب نوعية الامتنان.. في امتنان يتفهم محترم.. وامتنان ترم ترم

تستكمل ضحكها وهي ترى مراقبته لها.. يبدو أنه يحسب هجمته التالية..

قال ببساطة شديدة..

– انتي كدا وصلتي لصلب الأزمة، مشكلة التفاهم.. وكأن كل واحد في مجتمعنا بيتكلم لغة مختلفة عن الباقيين.. أنا عارف إن الدين حاطط لنا قيود.. بس احنا كبشر بطبيعتنا ضعاف، لنا احتياجات ورغبات طبيعية من حقنا نحصل عليها وإلا حياتنا تبقى غير مكتملة ونفسيتنا تنحدر، وبالتالي مش هنقدر نمارس لا أعمال ولا عبادات بنفس الإقبال والإخلاص!.. انتي في صلاتك بتبقي في نفس حالة الخشوع في الحالتين سواء جعانة أو شبعانة مثلًا؟!

تشعر كأن شيطانه يدغدغ عقلها، فتطرده بهزة من رأسها، يلمحها هو، فيزداد تركيزه.. تقول:

– ما احنا بنصلي في الصيام وبيبقى خشوعنا أكبر كمان.. وبعدين الدين مش ضد احتياجاتنا بس لازم ناخدها بطريقة صح.. ما الأكل اللي مش صحي بيجيب المرض!

يشعر أن مهمته تصير أكثر عسرًا من ذي قبل.. يقرر النقل إلى محور جديد..

– تعرفي إن ثقافة الاعتراف الشائعة في الغرب دي شيء صحي جدًا؟.. الاعتراف للقس أو للطبيب النفسي، أو حتى في جلسات العلاج والتأهيل الجماعي.. شيء جميل إنك تعتبري ذنوبك وأفكارك الوحشة كائنات مجسدة، بتتحرر وتنفصل عنك لما بتشاركي فيها الغير.. ده بالإضافة للقيمة

المعنوية اللي بتضاف لك بعد الاعتراف، وتقابلي من الناس استحسان لشجاعتك وصراحتك.. من الناس، متخيلة؟!

أمّال بالنسبة لربنا بقى اللي وصف نفسه بالرءوف الرحيم...!

ليه بناخد منهم دايمًا اللي نفعه وقتي، وضرره أعظم.. ونسيب العناصر اللي ممكن فعلًا تخلق مننا مجتمع متحضر.. تعرفي ليه؟!

وضعت قبضتها أسفل ذقنها وتابعته صامتة، فقال..

– لأننا مش متعودين نحتوي بعض، ونقدر الضغوط والمصاعب اللي غيرنا بيتعرض لها طول الوقت، في حين إن غيري لو كان في مكاني، وارد جدًا يتصرف بشكل أشنع!

مش بنقدّر قيمة إن حد يثق فيك ويعبر لك عن فكرة ملحّة مايقدرش يعلن عنها على الملأ، مش بالضرورة لأنها غلط.. يمكن ساعات عشان الناس ممكن تفهمها غلط.. ردود فعلنا بتخلي الواحد يندم إنه اتكلم، ويكره الصراحة أصلًا.. وبالتالي تكتر جواه الضغوط اللي مش عارف يعبر عنها أو يرتاح من إلحاحها، وده لازم ينعكس على تصرفاته وشخصيته بوجه عام، للأسوأ!

تشعر أنه يلح في حصارها.. تفكر في إنهاء الحوار، ودعوته للتمشي قليلا.. لكنها لم تعتد الهروب.. تفكر أن الوضع الآن مختلف، وربما كان الهروب حكمة..

– الفضفضة للقسيس بيعملوها علشان يديهم الغفران.. أنا كمسلمة عندي الغفران في ايد ربنا بس.. وبالعكس بقى كمان اللي يفضح سيئاته رغم ستر ربنا له، ربنا يغضب عليه.. ما تقوم نتمشى؟!

يرمقها للحظات صامتًا، ثم يترك ورقة مالية على المائدة، قبل أن ينهض منتظرًا إياها..

بالخارج كان الجو أكثر برودة مما تخيلا.. قل عدد المارة، لكن عدد السيارات القاطعة للطريق ظل على حاله.. اقتربت منه قليلًا، وكأنها تلتمس نوعًا من الدفء في جواره، فلم ينتبه لحركتها.. كان مشغول الذهن وكأن صراعًا داميًا يدور بأعماقه..

سارا لخطوات قبل أن يتوقف فجأة وهو يهتف بحماس، مما جعلها توشك على فقدان توازنها..

– تخيلي لو في حاجة اسمها زرار الصراحة.. شبه البرشام بتاع فؤاد المهندس.. زرار، ندوس عليه ونعبر عن نفسنا بمنتهى الصراحة، وبعدين ندوس تاني نقفله..

ونفض كفيه مبتسمًا في انتصار، متمًا..

– ماحدش يطلب مننا تبريرات ولا يضطهدونا بسبب رأينا أو وجهة نظرنا في الحياة.. تخيلي حجم السلام النفسي!

نظرت إلى جوارها.. ابتسمت وقد لمعت عيناها.. أشارت له أن ينظر وراءه.. التفت فوجد ملهى ليليًا.. وجدها تقول:

– وصّلتك لمكان مافيش جوّاه مشكلة مع الصراحة والوضوح.. enjoy!

مشت وهي تهز حقيبة يدها إلى الأمام والخلف كطفلة.. تابعها وهو يعض شفتيه.. التفت مجددا إلى باب الملهى.. للأسف الأهداف السهلة لا تغريه.

يعزف بشفتيه لحنًا لسيناترا، ويتلكأ في السير كطفل يكره المدرسة، يفكر.. ربما كان الغد واعدًا ببعض المرح!

الناس مقامات

– "لله"

ألتفت بسرعة.. كلمة قديمة جدا هذه للتسول! إذًا على ما يبدو ليس محترفا.. أتأمله بتمعن، فيشيح بوجهه، كأنما لا يريد لأحد أن يتعرفه. أمد يدي في جيبي، أخرج حافظتي المنتفخة.. بالأوراق فقط.. وأمد يدي إليه ببضعة عملات صغيرة.

أصل إلى محل عملي.. أطلب القهوة من "عم سعد" وأنا أمر بركنه الصغير، ثم أتجه إلى مكتبي، حيث أكوام من الأوراق تنتظرني.

أنظر إلى أستاذ عوض.. مشغول.. أزم شفتي وأنظر إلى الملفات أمامي.. هل سأضطر إلى العمل بها اليوم؟.. لكنه يلاحظ نظرتي، فيسارع بترك مكتبه قادما نحوي قائلا:

– لا لا لا (ثم ينحني هامسا) هافضالك بسرعة ما تشغلش نفسك.

أبتسم، ويصل عم سعد بالقهوة، فأتناول الفنجان، ويتشمم أستاذ عوض الهواء ويهز رأسه، فأسارع بمناداة عم سعد مرة أخرى:

– فنجان قهوة من البن بتاعي سكر عالريحة للأستاذ عوض يا عم سعد.

ينصرف إلى مكتبه وقد ارتاحت قسماته، وانكفأ على ملفاته يعمل بها، وأنا أسترخي في مقعدي وأخرج علبة السجائر من جيبي.

أتابعه وهو يعمل بهمة.. إنه مدمن للعمل وللأوراق.. والحق، هو لا يقصر ولا يعطل أي شيء عنده، ولا يطلب رشوة أبدا.. يقول دائما إن البركة تزداد مع الجهد، ولذا فهو لا يمل بذل جهده.

أنا هنا لأني لابد أن أتزوج، ولكي أتزوج لابد أن تكون لي وظيفة. ربما أنا هنا لأن عم عوض هذا له رزق في راتبي.. هكذا، فكل ما أكلف به يتم، ولا أضع في جيبي مالًا ليس من حقي، وأستاذ عوض يفرح براتبي – مخصوما منه المواصلات، فأنا آتي كل يوم، ولن يكون ذلك على نفقتي – وأمي مرتاحة، وكفت عن الإلحاح عليّ بالبحث عن عمل، وهنا أجد الوقت لعمل بعض الاتصالات وكتابة بعض النصوص التي أراسل بها المجلات.. ربما العيب الأكيد أني لا أستطيع إحضار حاسوبي المحمول، فقد يستفز ذلك رؤسائي.

*****

ما العيب في هذا؟!

أنا لم أضع يدي في جيب أحد.. لم أسرق، ولم آخذ ما لا أستحق!

أعرف أن الوضع يبدو شاذًا، أن أنهي أعمال ذلك الطفل مقابل راتبه، لكن لو كانت هناك مشكلة فهي مشكلته وحده.. كل ما في الأمر أنني أعمل وقتًا إضافيًا بأجر إضافي، ولكن ماذا يفعل هو؟!

يدخل ذلك اللص المدعو بـ (سعد)، تفوح من ثيابه وشعره روائح هي مزيج من البن والقرفة والنعناع، طارقًا على كوب الماء بطرف الملعقة، صانعًا كمًّا من الضوضاء كفيلًا بإفقادي تمالك أعصابي.. أكتفي بطقطقة خافتة من

لساني، أرجو ألا تبلغ مسامعه، وأدفن وجهي في الأوراق متصنعًا التركيز والاستغراق، كي لا يبدأ..

– ومعاك واحد قهوة ع الريحة، للأستاذ عوض واتوصا!!!.

يبتسم الطفل لامع الشعر نظيف الثياب، ويرفع رأسه عن أوراقه المجهولة..

– إيه الفرح ده يا عم سعد، يالا شد خلينا نشتغل شوية..

– دقيقة يا بيه نحاسب الناس بس.. النهارده أول الشهر، كل شهر وانت طيب!

تتقلص أمعائي فجأة، مستعيدًا شعوري القديم، حين كان يدور مدرس الدين في أرجاء الفصل كجنرال ألماني يتفقد أنقاض لندن، ثم يتوقف فجأة بجواري مشيرًا بعصاه إليّ في صرامة وتشفٍ..

– سمّع!

– مش حافظ!!

أقولها بمنتهى العصبية وأنا أطرق على المكتب بكفي، كأنني أطرد عفريتًا قديمًا..

يلتفت نحوي اللص بنظرة بلهاء، فأستدرك..

– قصدي لسه أستاذ عوني الصرّاف ما وصلش.. أنت قبضت؟!

يستدير منصرفًا دون أن يحفل بإجابة سؤالي، وهو يهز رأسه.. بالتأكيد يفكر في عدد الجنيهات التي يجب عليه إضافتها إلى حسابي نظير معاملتي الجافة، لعنه الله..

تستغرقني الحسابات كثيرًا، حتى أنصرف عنها بوعيي كالعادة، وأترك أصابعي تدير العمل.. جنيهات قليلة تلك التي تنتظرني بعد ساعات، لكنها سوف تعفيني من الحرج المستمر من مقابلة أم رءوف – صاحبة البيت – ومن زن أم العيال، لأن أختها اتصلت مئة مرة من أجل فلوس الجمعية، رغم أننا في الأول منه..

أجرع القهوة في رشفة واحدة ضخمة، وأحاول ضبط الميزانية بلا جدوى، هناك بنود كاملة لم تدرج بعد، وقد انتهى الوارد المفترض.. أراجع جداول البيانات مرة أخرى، محاولًا معرفة موضع الخلل.

اممم.. إدارة المشتروات، ذات الحساب المفتوح أصابها الخلل!.. سجاد وكراسي جلد لتجديد مكاتب أعضاء مجلس الإدارة، ٨٣ ألف جنيه.. كشف دوري لمعدات وأجهزة الأمن الصناعي، ١٧ ألف جنيه.. ممم.... ممم.. جزمة جديدة لكمال.. ٣ كيلو لحمة عشان الفرح.. مصاريف.. مصاريف.. مصاريف!

يا للكارثة، لقد أحلت دفتر العمل إلى دفتر ملاحظات منزلية!!

حاولت ألا يلاحظني الفتى، وأنا أقطع تلك الصفحة من الدفتر وأحيلها ترابًا قبل أن ألقي بها في سلة المهملات بجواري.. كيف شردت إلى هذا الحد؟!

– خير يا حاج؟!

– أبدًا الجدول ملخبط.. هاسطّره م الأول، مش مشكلة!

في نهاية اليوم، خرجت محتارًا، الراتب بأكمله أوراق كبيرة.. لن أركب الحافلة، لأعطي المحصل ورقة من فئة الخمسون جنيهًا.. أريد فكة، برغم يقيني أنها تقلّ من بركة المال!

– ألاقي معاك فكة ٥٠ والنبي؟!

رمقني الرجل للحظات في تبجح وشراسة، قبل أن يشيح بوجهه، وينطلق مكملًا سيره.. رأيته يعد أوراقًا مالية ثم يضعها بجيبه، هذا المجنون عديم الذوق.. فما له يرمقني هكذا؟!

بعد أن فارقني بخطوات فوجئت بندائه ذي الصدى الكئيب يتردد في الشارع كأنه بائع عرقسوس فخور بتجارته:

– "لله"!!

الباب الثاني

قصص بقلم..

محمد عبد القوي مصيلحي

شؤون داخلية

رواية قصيرة

.1.

"لم أعد أنام. لاحظ تلك الساعة المعلَّقة على جدار الكوخ، الساعة الآن 4:25 صباحًا.. إنها المرة الخامسة حتى الآن في هذه الليلة..!"

*****

"تخيل أنك شخص تافه وفقير وحقير ووحيد ومريض، ومدين لزعيم عصابة بمبلغ تعجز أنت شخصيًا عن تخيل وجوده على وجه الأرض، لو جمعت كل أموال الناس ووضعتها في كومة واحدة، ثم أتيت بكل التحف والآثار في العالم وكل ماله قيمة وما ليس له، ثم حوّلت كل شيء لأموال سائلة. ولو أعلنت عن بيع الكرة الأرضية في مزاد علني، بكل ما ومن عليها من حجارة وصخور ومياه وكنوز وقمامة وكلاب وبشر.. وحصلت على أكبر مكسب ممكن من هذه الصفقة، ثم أضفت المبلغ إلى ما كان لديك من مال، فلم يكن المجموع الكلي ليغطي هذا الدَين!"

– "مع الأسف، لا أستطيع تخيل حجم هذا الدَين الأسطوري. أعذرني!"

" أعلم أن لدى البشر نوع من العجز في تخيل تلك المبالغ الرهيبة من الأموال.. لا تقلق، فهو عجز بشري طبيعي، ولا يخصك أنت دون سواك. فلنقل مثلاً إن المبلغ 50 ألف دولار!!"

– " الآن فقط يمكنني التخيل كم أنت تافه وفقير وحقير ووحيد ومريض! تروق لي طريقتك الفريدة في وصف الأشياء!!"

" أشكرك! تخيل أن جزء كبير من حياتك – على الأقل الجزء الذي تذكر منه بعض التفاصيل – قضيته في ذلك الكوخ الخشبي عند سفح التل. أنت رأيت الكوخ وشاهدت حالته فلن أعلّق، فقط أحب تذكيرك بمواسم المطر أو أوقات هبوب العواصف الرملية. دعك من الأفاعي و الضباع، فقد صارت تلك التفاصيل هي معالم حياتي اليومية! تخيل أنك مضطر لأن تحياها بهذه الصورة لمجرد أنك لا تذكر من أباك ومن أمك. أنت نشأت هنا، وهنا سوف تظل حيًا إلى أن تواتيك منيّتك، فتدفن حيث كنت تقف لحظة أن وقعت. حبيبتك الوحيدة وقعت ميتة منذ سنوات أمام عينيك ولم تملك لموتها دفعًا. تركت بندقيتك الحقيرة ووقفت تتلقى لوم الناس بصدر رحب، خاصة أن اللوم كان منطقيًا، فلم يكن أي منهم يعلم أنك كنت تعشقها دون سواها من خلق الله! وبحقيبتك المفعمة بالبط الذي قمت باصطياده طيلة النهار، والنهار الماضي توجهت نحو النهر، وتخلصت من كل شيء، كأنك تعلن للنهر رفضك للثمن. برغم علمك أنه بسبب تلك الفعلة لن تعرف القرية مذاق البط إلى أن تعود للعمل.. وبرغم علمك أنك لن تعرف مذاق الطعام. تخيل أنك مضطر لأن تحياها بهذه الصورة لمجرد أنك تخشى العودة للقرية من جديد. أنت تعرف متى تمرّ تلك العربة المكشوفة من بين طرقات القرية باحثة عن المتاعب، وعن التعساء المتسببين في المتاعب. إنه الزعيم الذي يعرفه كل طفل هناك. كل أطفال

القرية يلعبون مع ابنه الصغير ويتخذونه خليلاً دون قلق من شر ولا سادية أبيه. وزعيم العصابة يسمح بذلك لسبب وحيد، إنه يعلم جيدًا قدرة ابنه على السرد وتهويل المواقف وصناعة سيناريو محكم جدير بفيلم رعب، لموقف قد لا يتجاوز قتل شخص ما غير ذي قيمة، مجرد قتل! وهو يقدّر خيال الأطفال الخصب، وتلك القدرة الجبارة على وضع الديكورات اللازمة لتنفيذ ما يُقص عليهم من سيناريوهات، بالإضافة لما يحتاجه المشهد من مؤثرات الخدع والدخان وربما الموسيقى إن كان الموقف على القدر الكافي من الإرعاب. لذلك هو يستند بشكل كبير على ما يرويه الأطفال لآبائهم من حكايات الطفل الذي شاهد أبيه وهو يفعل ويفعل، فيعم الذعر ويفعم القنوط القلوب، وتصير الإرادات طوع يمينه. وهم لا يجرءون على منع أطفالهم من اللعب مع الفتى.. ربما لأن بعضهم يخشى العواقب، وربما لأن البعض الآخر يعتبر أنه بواسطة تلك القربى صار بمأمن ولو وهمي.

تخيل أن ذلك الزعيم يوقف كل نشاطاته وأعماله، ويكثّف كل جهوده في البحث عن هدف واحد أهم من كل شيء.. هذا الهدف هو أنت!"

*****

"أصدقائي.. جيراني.. الزعيم.. عقلي.. وعيي.. فقري.. ضميري.. ذاكرتي.. وحدتي.. حالتي الصحية. هؤلاء هم كل أعدائي وليس لي أعداء سواهم!!"

*****

"تكلم يا....."

"رفاييل.. اسمي رفاييل"

"تكلم يا رفاييل، أنا منصت إليك جيدًا"

"تخيّل أنك ذات نهار تستيقظ لتكتشف أن لديك ضيوف. تحاول الاختباء، ولكن أين يمكنك أن تختبئ في مثل هذا الكوخ المفضوح؟ تنصت جيدًا، إنهما شخصان: رجل وامرأة مسنان للغاية. لقد عاد أبواك بعد كل هذا العمر لينتشلاك من حفرة جهنم تلك التي تحيا في قاعها. كيف وجداك بعد كل هذا العمر؟! لا يهم، المهم أنهما هنا والآن. لقد عادا ليأخذاك إلى حيث يحيون في ذلك البيت الجميل المطل على البحر، حيث يمكنك حلق لحيتك وارتداء ملابس نظيفة. ربما لو كان هناك وقت لأمكنك أن تحظى بحمام دافئ وتنام بعمق لساعتين متصلتين دون طرق على باب كوخك أو باب وعيك..

ديونك. لن يمكنك الفرار من هذا الزعيم، إنه خلفك للأبد ولن يمر يوم إضافي حتى يكون قد توصل لمكانك.. وعندها...

لا تقلق، فقد تم سدادك دينك بالكامل ولم يعد لذلك الزعيم سلطان على عنقك بعد الآن!

مستحيل.. لقد تحققَت كل أحلامي بالفعل، ولسوف أبدأ من جديد. لكنني سأبدأ وحيدًا..

لا، لن تبدأ وحيدًا. من قال هذا؟ أنظر من أتى معنا، لن تصدق!

حبيبتك التي كنت تتصورها قد ماتت، إنها هنا معنا وقد جاءت لأجلك. إنها تربط كتفها لأنه مصابة برصاصة لم تقتلها. لقد التقطناها وعالجناها وهي من قادتنا إليك. إنها ليست غاضبة منك، بالعكس.. لقد سامحتك، وهي الآن تستعد للانتقال معنا للأبد. ألن تجيء معنا؟ ما بالك تقف هكذا كالصنم..؟!

*****

– " لا أفهم.. هل هي كوابيس مثلاً؟"

"بالعكس، وليتها كانت كذلك!"

*****

"هل يمكنك تخيل هذا؟! نحن نسمع بالمعجزات ونعرفها ونؤمن بوجودها، ولكن هل رأيت واحدة من قبل؟ أنا رأيت..!

اليوم تراني شخصًا جديدًا لم تعرفه من قبل. هل تروق لك بدلتي؟ لدي واحدة أخرى جديدة، يمكنك أن تأخذها كهدية..

أنا اليوم كما تلاحظ أستعد للزفاف. سيكون عليّ انتظار العروس حتى تُنهي خبيرة التجميل ومصففة الشعر عملهما بالأعلى.. ثم نخرج سويًا للجمع الغفير الذي ينتظرنا بالخارج في شغف.

تهبط ساحرتي الصغيرة بثوبها الأبيض، وهي تبتسم بمودّة وحياء. لم يعد للرباط على كتفها وجود.. لقد شفيت تمامًا بمجرد أن عدنا وانتهى الموقف. أسمع بالخارج دق الطبول والدفوف استعدادًا لخروجنا. الصوت المرتفع للغاية يكاد يثقب طبلتي أذني. أشعر أن الضغط الجوي يزيد فجأة. التقط أنامل العروس وبصعوبة أشعر بها، وعلى وجهي تعبير شديد من العبوس والتأفف. إنها بالتأكيد منزعجة من هذا، لأن أي من القوم بالخارج لم يلاحظ هذا التغير المفاجئ في الضغط، وبالتأكيد يعتبر الجميع أن صوت الطبول المجنونة التي تهوي فوق أذني كقذائف الهاون طبيعي جدًا وليس مرتفعًا إلى هذا الحد!!

حاولت أن أوضح لها الموقف لكنني لم أتمكن سوى من نفض كفها بعنف من بين أصابعي، لأتمكن من تغطي أذنيّ بشدة. يبدو أن الجميع قد أصيب بالصمم أو أنني أنا من أصيب بالصرع فجأة.."

*****

"في الصباح التالي استيقظت. كان الفراش لينًا مريحًا بشكل لم أتخيل وجوده من قبل ولو جمعت كل ريش النعام في الدنيا.. ولو..."

– "مفهوم، مفهوم. أرجو أن تكمل ما حدث، ولا تخرجنا عن سياق الموضوع!"

"بحثت بعيني عن عروسي فلم أجدها بجانبي. تراها استيقظت قبلي؟ المدهش أن صوت الدق الرهيب كان مستمرًا، كأنه يدق في رأسي أنا. مرت دقائق قبل أن أكتشف أن هذا الدق الجنوني كان على باب الحجرة. مرت دقائق أخرى قبل أن ينهار باب الحجرة بالفعل ويدخل عبره طفل صغير عاري البدن قذر كريه الرائحة..

"فلتهرب سريعًا.. لقد عرف الزعيم أنك هنا، وسيكون عندك خلال دقائق. هيا أيها الغبي!"

للحظات ارتبك وعيي وظللت أفكر. لماذا يبحث عني الزعيم وقد نال كل أمواله وانتهى كل شيء. ولكنني فجأة انتبهت إلى أن كل شيء قد انتهى بالفعل!!

ولكن كيف؟! لقد جلسَت بجواري، والتقطتْ أناملي، وأسندت رأسها على كتفي ونامت. وأنا أرحت رأسي على رأسها.. لقد كنا نبدو كما لو كنا متسولين ينامان بمحطة مترو.. لكن هذا الوضع كان هو الأمثل لكلينا، وكأننا لم نكن لنعرف الراحة سوى هكذا!

وكالعادة أفاجأ بمشاهد الكوخ من حولي.. الخيش العطن الذي يكسو الأرض، والذي أنفت أنت من المرور فوقه بحذائك اللامع. ذلك الخيش الذي هو فراشي، وتلك الخرقة التي كانت ذات يوم ثوبًا من ثيابها، قبل أن تصير ترابًا وتصير الخرقة وسادة لي. تفتش كفوفي في كل مكان بحثًا عن أي شيء، فلا تجد شيئًا. إنني بالفعل هنا مرة أخرى.. أنظر لجدران الكوخ

التي تتكون من مزيج من خشب أتى عليه السوس، وصاج صدئ، وورق كرتون مبتلّ. أرى البندقية التي ألقيت بها في النهر أكثر من مليون مرة، وفي كل مرة أستيقظ لأجدها هنا من جديد..

أنظر للجهة الأخرى من الجدار، فأتأمل الساعة المعلقة على الجدار.. إن إشارات ضبط الوقت تشير للرابعة وخمس وثلاثون دقيقة من صباح اليوم. جميل أن ينام المرء عشر دقائق متصلة في هذا المكان.. إن هذا يدل على قوة أعصاب لا تضاهى، لكن الانهيار العصبي الذي ينتظرني لن يهتم بقدر ثباتي.. فهو آتٍ – على أي حال – آت..

.2.

حمل الدكتور سمير درويش قدح القهوة وتوجه به نحو المكتب، حيث جلس مسترخيًا وهو يشير لذلك الفتى شديد النحول والخجل. فنهض من خلفه ملبيًا الإشارة الصامتة، ليتقدم بهدوء وينتقي مقعدًا أمام المكتب، ويجلس عاقدًا ذراعيه في انتظار كلمة الطبيب..

"لديك بالمبرّد عصائر طازجة صنعتها بنفسي.. يوجد كذلك بعض الكولا لو كنت تفضلها. من الواضح أنك تعاني حالة أنيميا حادة لذلك لا أنصح بتناول القهوة بتاتًا، ألم تستشر طبيبًا باطنيًا؟"

هز الفتى رأسه إيجابًا..

"بلى، ولكن ليس بصدد الأنيميا.."

"ها هو المبرّد على يسارك، أرجو أن تتصرف وكأنك في دارك"

نهض مستسلمًا وتوجه نحو المبرد. حاول فتح زجاجة ما مرتين فوجد غطاءها عالق يأبى أن يدور، لذا فقد عاد بعلبة من الكولا وعلى وجهه تعبيرًا عصبيًا، كأنه سأم الموقف بالكامل..

"الآن، أعتقد أن المشكلة صارت أكثر وضوحًا من ذي قبل. أنت لا ترى الكوابيس أثناء النوم، لكنك – على العكس – ترى أحلامًا جميلة،

تستعيد خلالها كل ما قد فاتك أن تناله في حياتك.. حبيبتك القديمة تعود، أنت تترقى في عملك، تصير ثريًا، تتخلص من مضايقات بعض الأشخاص الغير مرغوب فيهم.. ثم بالنهاية تستفيق من الحلم وأنت تبحث عن كل ذلك فلا تجد له أثرًا، ومن ثم تبدأ في رفض واقعك وتفقد الرغبة في الحياة. أليس كذلك؟"

عاد الفتى يهز رأسه دون كلمة، وهو يتأمل علبة المشروب الغازي التي لم تزل مغلقة. في النهاية قال بصوت خفيض..

"حقًا قلت، لكن هذا ليس كل شيء.."

تناول د.سمير العلبة وفتحها، ثم أعاد تقديمها للفتى وهو صامت ينتظر..

"بدأ الأمر منذ حوالي شهرين.. كان الموضوع يتلخص في حلم واحد كل فترة، ربما ثلاثة أيام أو أربعة. الآن صار الأمر لا يطاق، وقد بات من المعتاد أن أستيقظ في الليلة الواحدة أكثر من عشر مرات بسبب هذا الهراء، فضلاً عن أن الأحلام صارت أكثر واقعية وتجسيدًا عن ذي قبل، لدرجة أنني في كل مرة أفتح عينيّ بحثًا عن أشياء من المفترض أنها موجودة. وقد يستغرق مني الأمر دقائق كاملة في التفكير والدهشة وربما البحث، قبل أن أكتشف أن كل ما فات لم يكن سوى مجرد حلم.. فقط!"

وتناول رشفة طويلة من المشروب، يخفف بها من جفاف حلقه، قبل أن يتابع بنظرة مخيفة..

"لقد صرت أمقت الاستيقاظ من النوم، لأنني لم أعد أنام أصلاً. إن أقصى فترة متواصلة من النوم خلال الأسبوع الماضي كانت نصف ساعة، لدرجة أن أعصابي صارت على حافة الانهيار. فقدت ما يقرب من ثلثي وزني، لم أعد أتمكن من مواصلة العمل، ولا أعرف كيف يمكن أن ينتهي بي الأمر لو استمر الحال هكذا ليومين إضافيين.."

قطب سمير وهو يمرر قدح القهوة تحت أنفه ويتشمّمه، ليتحسس مقدار السكر قبل أن يتذوقه، ثم وضعه غير راض وهو يسأل بكياسة..

"أعتقد أنك جربت نوع أو اثنين من الأقراص المنومة، صحيح؟ ربما دخنت بعض السجائر كذلك؟"

قال الفتى بهدوء غير طبيعي، وبلهجة تكاد أن تخللها الدموع..

"لم يعد هناك (زفتًا) لم أجربه. تناولت العديد من الأدوية بلا جدوى، ولم أرفض كل ما كان يقدم لي على سبيل العلاج.. بدءًا من الأقراص المجهولة، وحتى لفائف الحشيش.. سألت أكثر من طبيب، وعددًا لا نهاية له من المشايخ، الفقهاء منهم واللصوص.. نمت على وضوء.. أنفقت نصف ثروتي في البحث خلف الخرافات.. وكل هذا راح بلا جدوى. في النهاية كان الجميع يهز رأسه في اتعاظ ويغلق كتابه مع نظرة آسفة، أو

ينصح بضرورة رد المظالم، أو الثبات على الإيمان.. واحد أو اثنين نصحوني على استحياء بضرورة زيارة طبيب نفسي.. بصراحة لم أجد الأمر صعبًا إلى الحد الذي كانوا يتصورونه، ولذلك أنا هنا الآن!"

*****

"وما حقيقة ذلك الرجل الغامض الذي اعتدت رؤيته أثناء الحلم؟"

"لا أعلم عنه أكثر مما قلت. كان كهلاً غريب الشكل بدا من مظهره أنه لم يستحم منذ قرون، وكان يرتدي أغرب وأقذر الثياب ويحمل بندقية عتيقة للغاية. لم يكن يتحدث العربية، لكنني بشكل ما كنت أفهمه وأجيب أسئلته.. كان دخيلاً على أحلامي، لكنني عرفت أن اسمه هو رفاييل.."

"هو أخبرك بهذا؟"

"نعم، أثناء الحلم. رأيته عدة مرات في الفترة الأخيرة.. وكان يروي حكايات غريبة عن الفتاة التي أطلق عليها النار.. وعن زعيم العصابة الذي كان يطارده. صار الأمر كأنه مسلسل تليفزيوني. بجانب أحلامي الخاصة وأمنياتي التي كانت تتحقق، كنت أراه وأحادثه وأسمع منه أغرب الأشياء.. وبشكل شبه يومي!"

رمق د.سمير الفتى للحظات عاجزًا عن التعليق..

"والمفترض أنك متأكد تمام التأكد من أنك لم تعرف الرجل من قبل.."

هز الفتى رأسه إيجابًا بثقة يجتمع فيها الاستسلام مع الدهشة..

"كم مرة تكرر الأمر؟"

"كثيرًا في الواقع.. ربما خمس أو ست مرات خلال الأسبوع الماضي..."

فكر سمير لحظات قبل أن يقول..

"هل كان يطلب منك تأدية أمر معين، أو يحاول إبلاغك برسالة ما؟ أخبرني عم كان يدور فيما بينكما من أحاديث.."

"ما الأمر؟ هل تشك في كونه شبحًا أو ما إلى ذلك؟!"

"ربما، بافتراض صدق روايتك طبعًا.."

"إذن أنت تؤمن بالأشباح كمبدأ، لكنك لا تستطيع تأكيد صدق روايتي.. تمام!"

"لا تدع هذا يغضبك، ألسنا متفقين على المصارحة منذ البداية؟"

"بالتأكيد، ولهذا اتبعتها معك في رواية الأحلام ولم أغفل تفصيلة واحدة. ثم لماذا بربك تراني قد تجشمت عناء المجيء إلى هنا؟!"

نهض سمير من خلف مكتبه راسمًا بسمة سخيفة تعني بالكاد أنه كان يمزح. وتوجه نحو المقعد المقابل للفتى النحيل..

"يؤسفني أنك قد انقدت لهذا الاستفزاز البسيط. لقد كنت فقط أمازحك، هذا كل ما في الأمر!!"

تأمله الفتى بنظرة خاوية فقال بجدية..

"أ تعلم؟ – قالها سمير وهو يمد يده ويضغط زر المسجل ليكف عن العمل – لديّ أنا الآخر سرًا صغيرًا لا يعلم بأمره أي مخلوق في الوجود سواي. بل إنه ربما كان من التفاهة بحيث لا يرتقي لأن يكون سرًا. ليس من العيب أن يعترف المرء بخطئه من وقت لآخر طلبًا للتطهر، خاصة لو كان يعترف لشخص موثوق بأمانته. شخص لا يفترض به أن يفشي للغير سرًا مهما بلغ أمره من خطورة. هل تعلم أنني من أكثر الناس حرصًا على تنفيذ القوانين المرورية بحذافيرها؟! وليس منبع هذا حرصي على نظام السير أو حياة المارة أو ما إلى ذلك، لكن السبب الحقيقي هو خوفي من عواقب المخالفة!!

نعم، أنا لن أحتمل أن يوقفني أحدهم ويحرر ضدي مخالفة لمجرد أنني نسيت ربط حزام الأمان بسيارتي. أحاول بقدر الإمكان أن أتجنب أي مواجهة مباشرة تجمعني برجل من رجال المرور.. هل تعلم السبب؟ لأنني منذ الطفولة كنت أخشى أن أكسر الأواني الزجاجية أو أن أعود للمنزل متسخ الثياب حتى لا يسلّمني أبي "للعسكري"، الذي لن يتورع بالتأكيد عن اختبار كافة صنوف العذاب على جسدي الصغير عقابًا لي. وكان أقرب عسكري لأبي عندما كان يحاول أن يخلق بداخلي تلك العقدة هو جندي

المرور القابع عند ناصية شارعنا! لذلك – وبعد كل هذا العمر – كانت المرة الأولى التي لم أهتم خلالها بالتأكد من سلامة السيارة على كافة النواحي، هي المرة التي حققت فيها أول وآخر مخالفة مرورية في حياتي.

كانت الكوابح بحاجة للصيانة، لكنني لم ألاحظ هذا. أضف إلى ذلك عدة عوامل أخرى، من ضمنها أن الوقت كان ليلاً.. الطريق مقفر.. الجو كان مطيرًا بشكل مخيف.. وأنا لم أذق طعم النوم منذ أيام..

لقد اجتمعت كل الظروف السيئة لتؤكد عقدتي القديمة: لقد حدث ما حدث لأنني لم أتيقن من أن كل شيء على ما يرام. أنا السبب بالتأكيد فيما وقع ليلتها.. ليتني استمعت لنصيحة أبي القديمة وحاذرت من الوقوع في الخطأ. أخرج من السيارة مسرعًا لأستبين ما حدث، فلا أتمكن من الحركة. كانت المفاجأة أكبر من كل شيء.. أكبر من سنوات عمري.. أكبر من شهاداتي العلمية.. أكبر من حالتي الذهنية بسبب عدم النوم.. وأكبر من حالة الطقس الرهيب من حولي. ووسط قطرات المطر التي استحالت – بقدرة قادر – إلى سيول تغمر الأرض، وتكاد التماسيح أن تبرز منها سابحة لتهاجمني.. وقفت أتأمل الجسد المكوم على الأرض أمامي وأحاول أن أفكر في الخطوة التالية!"

وصمت الدكتور سمير لدقيقة أو اثنتين، ليتأمل ملامح الفتى النحيل التي بدأت في الاهتزاز. ثم نهض من مجلسه مرة أخرى وعاد إلى المكتب

ليلتقط جريدة اليوم، ويفتحها على صفحة الحوادث، ويبدأ في التلاوة بصوت محايد..

".. وقد تلقت مديرية أمن القاهرة إشارة من أحد المندوبين تفيد العثور على جثة رجل في العقد الخامس من عمره.. مممممم.. حادث سير على طريق.. مممممم.. ناقص الأهلية.. على من يتعرف.....!"

في النهاية طوى الصفحة وعاد بها إلى حيث يجلس الفتى النحيل مشيرًا إلى صورة معينة..

"أعتقد أن هذا الرجل يدعى رفاييل.. بشكل ما راودتني تلك الفكرة، فأحببت أن أطلعك عليها. ألا تراني محقًا..؟!"

*****

"أنا لم أقتل الرجل. لكنه كان مجنونًا أو يائسًا لدرجة أن يلقي بنفسه تحت عجلات سيارتي. أقسم أنني لم أعرفه من قبل، ولا أعرف عنه أي شيء بالمرة. ولنفترض أنني من قتله بالفعل.. وأن تلك النوبة من الأحلام قد بدأت بسبب شعوري بالذنب حيال الموقف، وكل ما يمكنك أن تقوله.. إن هذا لا يفسر تلك الزيارات المتكررة من الرجل، وكمّ المعلومات الغريب الذي عرفته عنه بينما كنت نائمًا كالصخرة.. إن هذا لا يفسر أي شيء بالمرة"

جلس سمير منهارًا على مقعده وقال بلهجة لائمة..

"بالعكس، هذا يفسر كل شيء! من المحتمل جدًا – بل ومن المؤكد – أن تكون كل تلك المعلومات عن الرجل من محض خيالك، مع الأسف لا توجد طريقة نستطيع من خلالها التأكد من صحة هذه المعلومات. إن شعورك بالمسؤولية هو من قادك إلى هذا.. ولو كنت قد انتظرت لفترة إضافية، فربما كان هذا قد زج بك في طريق لا ينتهي من الهموم، التي سوف تقودك بالتبعية إلى جنون مطبق، لا فرار منه ولا علاج. أنت الآن تعرف أنني لن أشي بك مهما حدث.. لكنني أنا الآخر أعرف وأتأكد تمام التأكد من أنك سوف تخرج من هنا لتتجه مباشرة نحو مديرية الأمن، لتسليم نفسك.."

قال الفتى بلهجة صلبة متماسكة..

"لكنك أنت أيضًا فعلت المثل، وكانت لك سابقتك الخاصة.. أليس كذلك؟!"

قال سمير مهمومًا..

"بلى، لكنني لم أتصرف كما تصرفتَ، ولولا رهبة الموقف لذهبت مع السيدة بنفسي إلى المستشفى.. لقد انتظرت بسيارتي على مسافة معقولة، ورأيت سيارة الإسعاف وهي تحملها قبل أن أنصرف. لاحظ أنها كانت لم تزل على قيد الحياة، وكان هذا هو أقصى ما يمكنني تقديمه إلى المسكينة التي تصادف يوم نحسها مع يوم نحسي! ولم يكن ذهابي معها ولا حتى إلقائي بالسجن ليقدم لها ما هو أكثر.. لكنك الآن لن تقدم المساعدة لأي

شخص، أنت سوف تقدمها لنفسك. ولو طلبت رأيي العلمي لأخبرتك بكل ثقة أن هذا التصرف هو الوحيد القادر على إبعاد تلك الرؤى عنك إلى الأبد.. صدقني، إنك نقي القلب إلى حد كبير، وإلا فلم تكن لتؤثر بك تلك الواقعة إلى هذا الحد.."

قال الفتى بحلق نصف جاف، وهو يواصل النظر نحو سمير بثبات..

"أتراهم سوف يقومون بإعدامي؟!"

"لا أظن، فلم يخرج الأمر عن قتل بطريق الخطأ. لا يوجد سبق إصرار هنالك، كما أن الطبيب الشرعي قد يثبت أن ذلك المسكين هو من ألقى بذاته تحت عجلات السيارة.. بالإضافة إلى كل ذلك، أنت قمت بتسليم نفسك إلى العدالة دون ضغط خارجي. إن تلك الأمور تحظى بمراعاة المحكمة على نحو جيد.. أتعرف؟ ربما توقف الأمر عند سنة مع إيقاف التنفيذ.."

صمت الفتى للحظات قبل أن يقول بلهجة أقرب للمرح..

"إذن لا أعتقد أنك تمانع إن طلبت فنجانًا أخيرًا من القهوة، ربما كان الأخير بالفعل.. من يدري؟!"

ابتسم سمير ونهض ليعد فنجانين من القهوة..

"هل تحب أن آتي معك إلى المديرية..؟"

"لا عليك، أفضّل القيام بهذا بمفردي"

"هذا أفضل في رأيي، ولكن يمكنني اصطحابك إلى هناك لو أردت"

"لا أظن، خاصة مع ظروفك الخاصة تجاه رجال الشرطة!"

"ليس كلهم، المرورين منهم فقط!"

"أيًا كان.. سكر زيادة من فضلك"

.3.

"محمود عبد الغفار.. مدرس لغة عربية، حديث التخرج، نحيل جدًا، أعزب.. ويرى أشياء!"

تأملها الدكتور سمير للحظات متفرسًا في ملامح وجهها. كانت على قدر من الجمال برغم تقدمها الواضح في السن، والإرهاق العنيف المرتسم على كل خلية من خلايا وجهها.. وفكر سمير..

(لا بد أنها كانت فاتنة في عقدها الثالث!!)

متوترة للغاية كانت، تبدو كما لو كانت تحمل في حقيبتها، أو في صدرها، بضائع، أو مشاعر، ممنوعة، أو مضطربة..!

"ماله؟!"

"أنت تعرفه جيدًا. علمت أنك التقيت به مرة أو أكثر، وقدّمت إليه نصيحة مخلصة.. ألم يحدث؟"

أعاد سمير تأمل ملامحها في صمت. كانت مألوفة لديه بشكل ما، وكأنه رآها من قبل في ظروف يجهل عنها كل شيء..

"أرجو المعذرة، ولكن هل التقينا من قبل؟"

ابتسمت المرأة في غموض، وهي تسند رأسها على يدها بشكل يوحي بأنها مصابة بدوار. قالت..

"لا أظن، أنا د.ثريا عبد العال.. كنت أعمل لحساب وزارة الإعلام منذ فترة، لكنني الآن لا أخرج من البيت إلا لأجل التسوق.."

"حضرتك مذيعة؟"

"سابقة.."

"أهلاً وسهلاً، لقد تأكدت من أنني رأيتك من قبل. ولكن التمسي لي العذر، فأنا لا أشاهد التلفاز تقريبًا.."

قالها سمير محرجًا، فقالت المرأة باسمة في عذوبة..

"لا عليك، أنا كذلك لا أشاهد التلفاز مطلقًا. أكتفي من الإعلام بصفحة أو اثنتين من أي جريدة أراها أمامي. على فكرة، هذا التصريح يعد سرًا لا أقبل بنشره مطلقًا!"

قالتها وأطلقت ضحكة مرحة، ابتسم لها سمير ونهض نحو المبرد..

"عصير؟"

"برتقال؟"

"مانجو.. جوافة وكوكتيل!"

"لا بأس.. جوافة"

عاد سمير بزجاجة العصير وصب منها كأسين، ثم جلس ولم يقرر كيف يبدأ..

"هل أخبرك الأستاذ محمود بذلك بشكل شخصي؟"

صمتت للحظات وهي مسبلة لجفنيها، حتى ظن أنها قد غابت في النوم. بالنهاية قالت..

"أخبرني بذلك وبما هو أكثر، حتى أنه عرّفني ببعض الأصدقاء الجدد. غرباء للغاية لكنهم ظرفاء إلى حد كبير.."

"متى كانت آخر مرة تقابلتما فيها؟ أرجو أن تحددي الموعد بدقة لما لذلك من أهمية كبيرة عندي.."

"لقد كان ذلك بالأمس، لماذا تسأل؟"

صمت سمير وهو يتأملها بنظرة خاوية كالأبله..

"بالأمس! أي أمس تعنين بالضبط؟!"

قالت وهي تضع ساق فوق أخرى وتبتسم في استمتاع بالموقف..

"الأمس هو الأمس.. ما الذي يعنيه سؤالك؟!"

"لا بد أنك مخطئة سيدتي. لا يمكن أن يكون قد تم بينكما أي لقاء، لا بالأمس ولا منذ أسبوع كامل مضى. هل تعرفين لماذا؟ لأن محمود قد قتل بعد أن خرج من هنا قاصدًا مديرية أمن القاهرة. كان هذا منذ أسبوع بالتمام والكمال، عندما كان يمر من أمام إحدى البنايات ثم سقط ذلك الشيء فوق رأسه من شرفة علوية.. هل يمكنك استيعاب هذا؟!"

صمتت المرأة للحظات قبل أن تستجمع أفكارها وتقول..

"أولاً أنا أتفق معك في حقيقة موت الفتى.. ليس لسبب سوى لأنني أنا من قتلته بنفسي!"

*****

"أنت لا تمزحين!!"

".. وأن ذلك الشيء الذي سقط فوق رأسه، كان أصيصًا كبيرًا للصبار موضوعًا بشرفة داري. ولم ألاحظ بينما كنت أمر بجواره أنني قد وكزته بمرفقي، فتصادف – لأجل النصيب – أن يسقط في ذات اللحظة التي مر فيها الفتى من أسفل الشرفة.. مما جعله يلقى حتفه على الفور، للأسف الشديد"

كانت قد بدأتْ في النهنهة، واستعدت للدخول في نوبة من البكاء. فأشار سمير نحوها وقال بهدوء لا يخلو من الحزم..

"تناولي المشروب من فضلك.. هل لك في قطعة من الثلج؟"

"تناولت الكأس بكلتا يديها وبدأت في الشرب بالفعل، قبل أن تهز رأسها نفيًا من وراء الكأس كالأطفال..

"أنت الآن قد أطلعتِني على سر كبير.. من المؤكد أنك تعلمين كيف أن السلطات الأمنية ولا بد تسخّر كل جهودها في معرفة شخصية الفاعل. ولربما التصقت التهمة بشخص بريء لمجرد تضارب في الظروف والملابسات. كيف يمكنك تخيل الأمر من هذه الزاوية؟"

توقفت عن الشرب والبكاء فجأة ورمقت سمير بنظرة ملولة تتهمه بالغباء..

"أية زاوية تعني يا دكتور؟ لعلك لا تعرف أن هذا الحادث قد وقع منذ فترة لا تقل عن عشر سنوات..!!"

*****

"هل تخيلت للحظة أنني توقفت عن عملي كمذيعة لأنني مللت العمل؟! بالطبع لا. لقد أدانني التحقيق، فكان لابد من اتخاذ رد فعل تجاهي من جهة الوزارة. وبرغم أن الحكم قد صدر بالبراءة، إلا أنه لم يعد لي مكان في القناة حيث كنت أعمل..

ليست المشكلة في زياراته المتكررة أثناء الحلم ولا بمن يأت بهم معه من أشخاص. ولكن في الروايات التي حكاها لي عنك وعما دار بينكما. أنت تعرف، من السهل مقابلة من ماتوا في الحلم.. ومن الوارد أن يخبرنا الموتى بأشياء نجهلها، بصرف النظر عن انتماء تلك الأشياء للوهم أو للحقيقة التي نجهل عنها كل شيء..! come on.. أنت بالتأكيد سمعت بمثل تلك الأشياء من قبل! زارني أبي المتوفى في الحلم وأخبرني بكذا وكذا.. ثم يتضح أن ذلك صحيح بنسبة ١٠٠% لا يهم ما التفسير الصحيح لهذا، لكنه يحدث وكفى.. المدهش في الموضوع أنني أتيت فقط للتأكد من حقيقة ما روى لي ذلك الفتى، الذي تسببت في مصرعه يومًا ما.. وها أنت ذا تثبت لي أنه لم يكذب!"

"لا يا سيدتي، بالتأكيد هناك خطأ ما. لا يمكنك الزعم بأن الشخص الذي زارني منذ أسبوع كان ميتًا عندما رأيته وتكلمت معه وشربنا القهوة سويًا. لقد أجريت له قياسًا لضغط الدم.. أي نعم هو كان منخفضًا بشكل ملحوظ، ولكن هناك فارق جوهري بين منخفض.. ومنعدم!!"

كان سمير في حالة يرثى لها من القلق والتوتر وعدم الاستيعاب، وربما الخوف.. فقالت المرأة برفق..

"ألم تسمع من قبل عن الأشباح..؟!"

"بالطبع سمعت عنها الكثير.."

"تلك هي مشكلتي. لقد عرفت أنه كانت هناك فتاة لطيفة فقيرة قتلها أحدهم رميًا بالرصاص منذ فترة طويلة جدًا، ثم قضى قاتلها ما تبقّى من عمره وهو يراها كل يوم في أحلامه، حتى جاء اليوم الذي قتله فيه شخص آخر.. وكان هذا الأخير هو محمود. من يومها صار محمود هذا لا يطيق الحياة، لأنه لم يكن يخلد إلى النوم دون أن تسيطر عليه الرؤى الغريبة التي تتحقق فيها أحلامه.. بالإضافة لتلك الرؤى التي تخص الشخص الذي قتله منذ فترة، وكذلك الفتاة التي ماتت في البداية. كانت الضحية تأتي بضحاياها ليخربوا حياة الفتى المسكين!

تلك بالفعل هي مشكلتي.. لقد علمت الكثير من الأشياء عن أناس لم أعرف عنهم أي شيء وهم أحياء.. محمود.. رفاييل.. لورينا. وكل هذا لأنني تسببت في مقتل الفتى دون أن يصيبني الجزاء الذي يرضيه..

نعم، لقد اعترفت. أنا قاتلة.. قاتلة.. قاتلة! ولقد ألقي القبض علي ولم يؤمر بقتلي.. فما ذنبي إذن في هذا؟! من أدخل هؤلاء إلى عالمي؟! هذا هو السؤال..

قررتُ عدم النوم حتى لا أضطر لرؤيتهم مجددًا، لكنهم كذلك قرروا استخدام سياسة مختلفة.."

تصاعد صوت دقات على باب المكتب، فخرج سمير من حالة الهلع التي ألمّت به، وارتد إلى الواقع من فوره.. كانت ثريا على حافة الانهيار، مما جعله يربت على كتفها، ويضع إصبعًا على شفتيه هامسًا..

"شششش! أرجو أن تهدئي.. لحظة واحدة فقط وأعود"

نهض سمير ليفتح الباب، فأصابته صدمة عنيفة شلت حركته تمامًا..

"ألن تسمح لنا بالدخول..؟!"

استدارت ثريا بجذعها نحو الباب، لتتأمل الثلاثي المكون من محمود النحيل الذي يعقد ذراعيه بخجل غريب، وذلك الرجل القذر، ذو البندقية والمعطف البالي، واللحية التي تشبه حزمة الكتان المنقوع، والذي خلع قبعته وأحنى رأسه محييًا سمير بحركة مثيرة للضحك والرعب في آن واحد..

"خادمك المخلص رفاييل.. مرحبًا سيدتي الفاضلة!"

وتلك الشابة الصغيرة التي التصقت برفاييل في خجل، وهي تبتسم لهم صامتة على استحياء لحظة، وأخرى ترنو نحو الأرض..

"كما ترى، لم يعد يروق لهم الانتظار حتى أخلد للنوم!"

.4.

كانت جلسة لطيفة للغاية، ضمت خمستهم حول أقداح الشراب. وبدأ كل منهم في رواية ما لديه للآخرين. الملاحَظ هنا أن الضغينة كانت منعدمة تمامًا فيما بينهم، وبخاصة بين كل قتيل وقاتله. فقد كانت الفتاة لورينا تكاد ألا توجه الحديث لشخص سوى رفاييل وحده دون سواه، وبصوت خجول هامس يبلغ مسامع الباقين.. وكانت لغة الحوار فيما بين رفاييل ومحمود من أرقي ما يمكن لك أن تسمع..

كان الموقف فريدًا بالنسبة لـ(سمير).. لكنه لم يحاول أن يبدي دهشة، متخذًا أسلوبًا دفاعيًا شهيرًا للغاية: هؤلاء يشربون ويضحكون ويتكلمون، إذن هم أحياء! تبًا للجرائد والصُحُفيين وما يكتبون.

وبنظرة جانبية نحو ثريا لاحظ أنها تنتظرها منذ فترة، لمح منها رغبة في النهوض للحديث بعيدًا عنهم..

"حسنٌ، سوف نذهب أنا والدكتورة لإعداد العشاء.. هل تتطوعون بالانتظار هنا لدقائق ريثما نعود؟"

لم يُبد أن أحدهم قد لاحظ عبارته، بينما هم منهمكون في حديث حام حول بعض شؤون الدنيا..

أعاد بصره نحو ثريا مذهولاً، ثم نهض من خلفها دون كلمة إضافية. ولم يكد يدخل معها إلى المطبخ حتى أغلق بابه من خلفهما بعنف، والتفت نحو المرأة هاتفًا بصوت يكاد ألا يجاوز الهمس..

"هل هذا السيرك المقام بالخارج قائم بالفعل، أم أنني جننت؟"

فردت كفيها أمامها كناية عن الاستسلام..

" كما ترى. هل يمكنك تصدق أن حياتي بالكامل صارت على هذا النحو؟! لقد كنت أحيا وحيدة بعد وفاة زوجي.. لم يكن لي أبناء قط، ولم أستعن بخادمة، لذلك لا أستطيع إنكار أن الأمر يحمل لي نوعًا من المودة بشكل ما! أعلم أنك ستندهش من هذا، لكن الحقيقة هي أنني لا أريد صرفهم، ولا أريد تفسيرًا علميًا لما يحدث.. فقط كنت أتمنى أن يشاركني شخص عاقل هذه التجربة، كي أتأكد من أنني لم أجن بعد.. والآن قد نلت هذا كما أردته تمامًا، فشكرًا لك. أعتقد أن أوان الانصراف قد حان، أشكرك على كل شيء، وأعتذر لو كنت قد سببت لك بعض المتاعب أو القلق.. وداعًا"

تعلق سمير بذراعها كالمجنون يمنعها من المغادرة..

"انتظري هنا، إلى أين ستذهبين؟!"

"إلى بيتي بالطبع!"

"وهؤلاء.. بالخارج!"

"لا تقلق.. إنهم سوف يتبعونني فورًا، فلم يعد باستطاعتهم الابتعاد عني. وربما بعد تلك التجربة المرهِقة من عدم النوم، والتي – كما ترى – أثبتت فشلها الذريع، يمكنني أن أحظى ببعض الراحة.. وقد يكون هذا سببًا لعدم ظهورهم أثناء صحوي مجددًا، والاكتفاء بفترات الحلم.. ألا تشاركني الرأي؟!"

صمت سمير لدقائق طويلة، تبادل خلالها مع السيدة الكثير مما لا يحتاج لأحرف وكلمات لقوله، قبل أن ينطق بالنهاية..

"هل سأراك مرة أخرى؟"

أسبلت جفنيها إرهاقًا، ثم ابتسمت، فقالت..

"I think so.. إلا لو كنت تفضل العكس. وسوف نرى مع الوقت إن كان النوم كافيًا لإبعادهم عن واقعي أم لا.. سنعرف كل ذلك بالتفصيل، ولكن هذا يحتاج إلى القليل من الوقت.."

"بالتأكيد"

قالها بصعوبة، ثم شعر بالقدرة على المواصلة، فأتبع..

"أرجو أن تحترسي منهم جيدًا، فهم بالنهاية ليسوا سوى..."

"أشباح! أليس هذا ما عنيتُ؟! لا أعتقد أن الخطر سيأتي من هذه الجبهة. احترس أنت لنفسك جيدًا يا دكتور.. وثق أننا سوف نتقابل كثيرًا فيما بعد.. Good by!"

لم يحاول سمير أن يتبعها خارج المطبخ، فقط وقف متسمرًا ينصت لصوت تصفيقها وهي تهتف..

"Come on guys.. قد حان وقت الرحيل،.. هيا يا لورينا، لقد نامت المسكينة! من فضلك احملها ريثما ننزل إلى السيارة يا رفاييل.. نعم، بارك الله فيك.. هل أنت مستعد للرحيل يا أستاذ محمود؟"

وبلغت مسامعه أصوات ارتباك طفيف ناتج عن تحركهم، قبل أن ينصفق الباب أخيرًا، ويحل صمت بالغ الوطأة، كصمت ما قبل البعث...

*****

ظل سمير على ذات الوضع، لأكثر من خمس دقائق بعد انصرافهم. حتى أنه حين قرر أن يتحرك، فاجأه تيبس شنيع في مفاصل قدميه دفعه للتأوه ألمًا..

"تبًا!"

خطا بصعوبة محركًا ركبتيه في كل اتجاه، كالخارج لتوه من المجمّد. ثم خرج إلى غرفة المكتب، مارًا بصالة الانتظار.. وقد كانت في انتظاره مفاجأة قاسية!

وجد كل شيء كما تركه قبل أن ينهض، ويفتح الباب للدكتورة ثريا. ركض نحو النافذة العريضة لرؤية السيارة قبل أن تغادر. كانوا قد غادروا منذ أكثر من خمس دقائق، وهو وقت يسمح لهم بالخروج من البناية والانصراف بالسيارة من المنطقة بأكملها. لكن عدم رؤيته لأي سيارة بالجوار جعل شعورًا ما يملأ داخله ويسيطر عليه. شعور بأن كل هذا كان محض وهم...

بحث عن الكؤوس التي قدم لهم فيها الشراب، لم يكن ثمة واحد على المنضدة أو المكتب.. فتح المبرّد الصغير، ليجد الزجاجات كما هي لم تمس. حتى أن صفائح الكولا كانت متراصة كما هي لم تنقص واحدة، برغم تأكده من فتحه لواحدة منهم على الأقل، منذ أسبوع تقريبًا..

لوهلة، فكر في أن الأمر يحمل رائحة الخديعة. ربما كان هؤلاء مجموعة من اللصوص، وقد أرسلوا مندوبهم الذي زعم أنه مدرس ويدعى محمود عبد الغفار، ليسرد تلك القصة الوهمية عن...

هز رأسه بعنف، كأنما هو بذلك يخلصها من كل الأفكار المجنونة. إن الأمر واضح ولا يمكن تفسيره على أي ضوء آخر. لقد كانوا هنا، والآن لم يعد لهم من أثر!

ولماذا إذن تجشم محمود الشبح عناء زيارتي من قبل؟ هل كان يعلم أن د.ثريا سوف تقرر المجي إليّ بالذات؟ صعب.. والحقيقة أن ثريا قد أتته هو بالذات بناء على رواية محمود...

انهار سمير على مقعد ما بالمكان، وهو يمسك رأسه بشدة، شاعرًا بأنها على وشك الانفجار. إذن محمود هذا ميت.. منذ أكثر من عشر سنوات!!

من الذي زاره منذ أسبوع إذن؟ شبحه؟! حسنًا جدًا.. كيف بدأ يشك في أن محمود هو قاتل ذلك الرجل رفاييل؟ عن طريق الخبر بالجريدة؟ من المؤكد أن رفاييل هذا قد مات منذ فترة لا تقل عن عشرة أعوام بدوره.. إلا لو كان من الممكن أن يموت القاتل قبل ضحيته، وهذا على الأقل، مستبعد! السؤال الآن: كيف وصل خبر رفاييل إلى صفحة حوادث جريدة الأسبوع الماضي، باعتباره خبرًا جديدًا؟!

نهض سمير، وهرع يبحث بين الصحف القديمة في درج مكتبه حتى عثر على العدد المنشود..

"ها هو ذا.. صفحة الحوادث، أين الخبر؟ نعم، ها هو..... وقد تلقت مديرية أمن القاهرة إشارة من أحد المندوبين تفيد العثور على جثة امرأة في العقد الخامس من العمر.. مممممم.. حادث سير على طريق.. مممممم.. مذيعة سابقة.. وقد أفادت التحريات.. ثريا عبد العال... ضد مجهول....!"

فتح سمير جفنيه بصعوبة، ليجد أنه ممدد على فراشه كما نام ليلة أمس، وقد أطبقت أصابعه على الجريدة بقوة. أعاد تأمل الخبر من جديد، قبل أن تدمع عيناه شكرًا لله على أن ما فات لم يكن سوى مجرد كابوس. تصاعدت أصوات طرق مفاجئ على باب حجرته، جعلته ينتفض هلعًا، وينهض ليخفي الجريدة في أبعد مكان ممكن بداخل خزانة ثيابه، قبل أن يعود لفراشه ويقول بهدوء ظاهري..

"تفضل!"

"صباح الفل عليك، هل نمت جيدًا؟!"

تأمل د.ثريا الواقفة قبالته تبتسم بثياب الخروج كعادتها..

"نمت.. وأنتِ؟"

"أنت تعرف.. لو كان بوسعي النوم لما كان لوجودي هنا أي ضرورة!"

والتفتت نحو خزانة الثياب، ثم ابتسمت بخبث..

"هل أخفيت الجريدة جيدًا؟"

قال سمير بعصبية..

"أجل، ولن يستطيع مخلوق واحد التوصل لمكانها. وحتى وإن حدث، فلا أعتقد أن أحدهم سوف يستنتج منها أي شيء ذو معنى.."

بسطت كفيها بطريقتها المعتادة، وقالت ببسمة ساحرة لم يقلل من سحرها سنوات عمرها التي جاوزت نصف القرن..

" **It's up to you**.. أنت وحدك صاحب الاختيار.. أنا أعلم تمامًا أنك كنت تظنني لم أزل على قيد الحياة، لكنك علمت بعدها أنني لقيت حتفي بداخل سيارة الإسعاف قبل أن أصل إلى المستشفى.. وأنت السبب. جبنك منعك من التقدّم لتسليم نفسك.. فأخضعت نفسك للقاعدة. إما أن تذهب لتسليم نفسك وتنال حكمًا بالإعدام، أو تنتظر الموت قتيلاً، أو تنتحر بنفسك. وفي كل الأحوال وحتى ذلك الحين لن تتخلّص مني.. أرى أنك تنعم بصحبتنا فعلاً، وهذا مما يسرني كما ترى.. هلا جهزت لنا إفطارًا؟!"

قال مستسلمًا..

"لديك المطبخ بأكمله، لن آكل الآن.. يمكنك تحضير ما تشتهين!"

"**Ok**.. ولكن تذكر أننا بحاجة لسكر ومسحوق غسيل.. **Please** لا تنس إن خرجت أن تحضرهم معك"

وضع على كتفه منشفة وتوجه نحو باب حجرة النوم..

"إلى أين تذهب؟!"

"إلى الحمام كما لا بد أنك تلاحظين..!!"

"انتظر قليلاً، فإن لورينا لم تزل بالداخل.. سأنبهها إلى ضرورة عدم التأخر"

"من فضلك..!!"

وألقى بالمنشفة عن كتفه بملل، ثم طفق يتأمل ثريا التي لم تزل واقفة ترمقه بنظرة مستفزة. صاح منفعلًا..

"على الأقل، هل يمكنك الخروج ريثما أستبدل ثيابي؟!"

قالت خارجة من الغرفة، وعلى شفتيها بسمة عابثة..

" أعتقد هذا. سوف أنتظرك بالخارج، فلا تتأخر!"

الحرباء

"أنا لست خائنًا بطبعي.. هي التي دفعتني دفعًا إلى هذه اللعبة، وكأنما كانت تتمنى أن أخطئ في حقها..!!"

*****

"منذ شهر تقريبًا بدأت ألاحظ أن عزت يتغيّر.. في البداية هاتفني وقال كلامًا غريبًا عن (الكاميرا الخفية)، وأنه كان يظنني أعقل من هذا، ثم لم يعد يرد على مكالماتي.. حاولت أن أفهم، لكنني لم أستطع!"

*****

"في البداية لم أستجب لها، ولا يمكنها أن تنكر هذا.. لكنها أعطتني انطباعًا بأنها تعرفني جيدًا.. كانت قريبة منّي لدرجة أنني لم أستطع تجاهلها بشكل كامل. الحقيقة أن مكالماتها كانت تصنع لي في البداية حالة من القلق والريبة. بعدها صار الفضول الممتزج بالدهشة هو سيد الموقف. ومع الوقت صار الأمر مسليًا! من الممتع بالطبع أن تطاردك امرأة لأنها تظنك جذابًا. ولكن من المخيف أن تكون تلك المرأة هي خطيبتك وأنت لا تعلم!"

*****

"أعرف أن عزت طبيب ناجح، وأعرف كذلك أنه وسيم جذاب. لاحظت هذا وأكثر في عيون صديقاتي وغيرهن من المعجبات، لكنه لم يحاول من

قبل تقمص دور الفنان محمود يس في فيلم (أنف وثلاث عيون) على الأقل أمامي!"

*****

"أول ما جال بخاطري أن سلمى قررت اختباري بشكل يفتقر إلى اللياقة.. فجعلت صديقة لها تطاردني هاتفيًا كي تعرف إن كنت سأستجيب أم لا! تفكير شيطاني. لكن الفتاة كانت شديدة الذكاء، في البداية تظاهرت بأنها طلبت الرقم بطريق الخطأ، ثم اتصلت بي مجدّدًا مدعية الطرافة، وهي تحكي كيف أنها حاولت الاتصال بي فأخطأت الرقم! أخبرتها في صبر إنه أنا من جديد، فأطلقت العنان لسحرها متمثلاً في صورة ضحكة صافية رنانة، تتأرجح ما بين الخجل والمرح. أسرني لطفها فلم أقدر على معاملتها بقسوة.. وليتني فعلت!"

*****

"لم يكن لديّ أدنى شك في إخلاصه. حتى إنني كنت أتغيب عنه بالأيام لظروف عملي كممثلة، وكنت أعود إليه من جديد لأجده في كل مرة ينتظرني. فقط في الفترة الأخيرة لاحظت أن هاتفه منشغل باستمرار. لم أفهم السبب!"

*****

"كنت أفتقد سلمى أغلب الوقت.. وهي تعلم جيدًا مقدار تعلّقي بها.. لكن الواقع يقول إن منال كانت هنا بينما كانت سلمى غائبة.. أخجل من

القول إن منال كانت حيث كان يجب أن تكون سلمى.. وكانت منال تعلم هذه الحقيقة، لكنها لم تجد ما يمنع من أن نكون أصدقاء.. لقد كانت وكأنها تعرف جيدًا ما أفتقده في سلمى فتحاول أن تعوضه باستمرار.. لم تبخل علي بخفة ظلها وعطفها ورقّتها.. كانت وكأنها تراني.. تراقبني من ثقب خفي في جدار عالمي.. كم مرة طلبت منى أضع بعض السكر في قهوتي كي لا أموت بسكتة قلبية.. كم مرة طلبت مني أن أقلل من التدخين؟.. كانت تطلب مني أن أفتح الراديو على إذاعة الشرق الأوسط حالاً، لأن أغنية قديمة كنت أشتاق إلى سماعها تذاع هناك!.. لقد استطاعت منال أن تكون كل ما أردته في سلمى، ودون أن أطلب ذلك.. وإن كان هناك ذنب في حكايتي فهو ذنب سلمى.. لأنها كانت تعلم جيدًا ما ينقصني، وكانت تملكه.. لكنها عوضًا عن أن تمنحني إياه عن طيب خاطر، فضلت أن تلعب معي بقسوة..."

*****

"ذات يوم اتصل بي عزت، وقال مندهشًا إنه لم يكن يتوقع ذلك الأسلوب مني..

وتساءل كيف لم يراوده الشك للحظة، وكيف لم يتعرف صوتي..كان مندهشًا غاضبًا سعيدًا مأخوذًا، كل هذا معًا.. وكنت أعرف أنه صادق في شعوره، لكنني لم أفهم، وهو لم يحاول أن يوضح الأمر..فقط أنهى المكالمة ولم يعد يردّ على مكالماتي بعدها.."

*****

"يوم أخبرتني منال أنها بصدد إطلاعي على سر، لم أصدق ادعائها.. كيف يعقل أن تكون منال هي سلمى؟!.. أعرف أن عمل سلمى كممثلة منحها خبرة كافية في الخداع، وأعلم أنها بارعة بحق، وتستطيع تغيير صوتها بسهولة.. لكن هذا لن يخدعني أنا، على الأقل ليس طوال كل هذه الفترة.. ظننتها كاذبة، لكنها تمكنت من أن تثبت لي صدقها حين بدأت تتحدث بصوت وطريقة سلمى المعتادين، وحين تحدثت عن أسرار فقط يعرفها كلانا.. وأخبرتني أنها فعلت ذلك لتتأكد إن كنت مستعدًا لخيانتها أم لا، وإنني بالطبع رسبت في أول اختبار وكل هذا الهراء.. ثم كفت عن محادثتي من هذا الرقم مجددًا.. الداعي للجنون ـ غير كل هذا ـ أنني حين اتصلت بها على رقمها الآخر ـ سلمى ـ لألومها، وأفهم لما فعلت هذا.. قابلتني بجهلها وكأنها لا تفهم عم أتحدّث، فلم أحتمل !"

*****

"قد أتفهم أن يعرف امرأة أخرى، لكنني لا أفهم لما يفعل معي كل هذا؟!.. أنا لم أعد أحتمل هذا الجنون.. من حسن الحظ أنكم أعدتموه للمصحة من جديد، فليس معنى أنه طبيب ألا يمرض.. المصيبة أنه يأبى الاعتراف!"

*****

انتهيت من سماع روايتي عزت وسلمى كل على انفراد، فصار الأمر بالنسبة لي أكثر تعقيدًا.. حاولت مصارحة سلمى بحقيقة مرض عزت.. وأنه

ليس خطرًا إلى الحد الذي تتخيله.. الفصام يحدث أحيانًا، والسبب هذه المرة أنه أحبها بشدة.. لقد حاول عقله إكمال ما ينقص سلمى في صورة منال، لأنه أرادها كاملة.. وقد كان من الممكن أن يحب غيرها، إلا إنه لم يكن يقدر على ذلك.. أخبرتها كذلك أن رقم الهاتف الذي أملاه علينا وهو يحاول التذكر بصعوبة، غير موجود على سجل هاتفه، ومن المستحيل التيقن من حقيقته، لأنه على حد علمي لا يوجد رقم هاتف محمول مكون من سبع خانات!

حاولت إفهامها أنها كانت السبب في شفائه أول مرة.. هي التي أعادته للعالم الحقيقي وعجلت بخروجه من المصحة، كما أنه لم ينتكس إلا لأنها ابتعدت عنه قليلاً.. فمن عدم الإنصاف تركه وحيدًا وهو في هذه الحالة السيئة..

أمسكت بحقيبتها وقالت وهي تنهض مصافحة إياي، إنها لن تستطيع الاستمرار.. لكنها وعدتني أنها سوف تمر بالمصحة للاطمئنان على صحته، فلم أستطع التفوه بحرف زائد..

*****

حين خرجت سلمى من مكتب الطبيب.. وهبطت الدرج لتبلغ مدخل البناية، تلفتت حولها عدة مرات قبل أن تسمح لملامح وجهها أن تتبدل.. صار شعرها أقصر، له لون كستنائي جميل يتناسب مع بشرتها الخمرية الجديدة، ولون عينيها العسليتين..

وحين خرجت للشارع كانت تبتسم وهي تعتقد أنها قد حققت نصرًا جديدًا على ذلك الجنس المغرور المزعج المسمى بالرجال.. واتسعت ابتسامتها الجذابة فرحًا بمواهبها العديدة التي تساعدها كثيرًا في مجال عملها..

"إلى أين يا مدام منال ؟"

استرخت في المقعد الخلفي وهي تقول مسبلة جفنيها في إرهاق، بصوت رخيم يختلف عن الصوت الذي كانت سلمى تخاطب به الطبيب..

"إلى البيت، فقد أرهقت في العمل بشدة.. وأحتاج إلى بعض الراحة!"

أوراق تقويم مبعثرة

4/15

لمرة أخرى يطالعني هذا الوجه الكالح، دون أن أملك القدرة على صرف صاحبه أو حتى العبوس في وجهه. واقترب مني راسمًا بسمة لزجة، ومسح على شعر رأسه الخشن الذي يصر على إطالته حتى يبلغ كتفيه. كانت شفتاه تتحركان بشكل مستفز، وهو يتقدم نحوي ويجلس على المقعد المجاور لفراشي الأبيض متوددًا. دون أن تفارق شفتيه الابتسامة اللزجة.. ودون أن تكفًا عن التحرك...

*****

وطفقت أتأمله من جديد مانحًا نفسي الفرصة لمحاولة الوصول إلى الحقيقة..

عبادة.. تراه من يكون وماذا يريد مني على وجه التحديد؟! رغمًا عن إرادتي تنجذب عيني تجاه ألون قميصه التي تصرخ بالتنافر.. ترى ما الذي يسمح لشخص يفترض أنه عاقل، بارتداء قميص مفتوح الأزرار حتى منتصف البطن، معربًا عن غابة كثيفة من الشعر، يدعو مشهدها للغثيان؟ أعتقد أن مظهر الغوريلا هذا يروق له بشكل ما.. فلا أعتقد أن هناك قوة على وجه الأرض تستطيع إجبار هذا الكائن المتوحش عن القيام بشيء يرفضه.

وللحظة انتابتني رغبة عميقة في ضغط الجرس للممرضة، كي تأتي لصرف هذا المخلوق الجهنمي بالقوة، خاصة حين عدت أشاهده من جديد وهو يحرك أشداقه بهذا الشكل الفظيع، إلا إنني قررت أن الطيّب أحسن. ونزعت عن أذني سماعتي الـ **mp3** فجأة ليصك مسمعي صوته المتحشرج وهو يقول متحمسًا..

"... وما دام الموضوع كدا، ما تيجي نقوم نمشي بقى؟!"

"نمشي نروح فين؟!"

"إنت كنت سرحان وللا إيه؟! نروح البيت عندي طبعًا! هو مش الدكتور قال إنك بقيت أحسن دلوقت؟"

تأملته قليلاً وأنا أفكر، هل أتظاهر بعدم المقدرة على الحركة، كي أظل هنا أطول فترة ممكنة؟ ولكن إلى متى، بالتأكيد ليس إلى الأبد..

زفرت مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم، ثم نهضت لأستبدل بثيابي ثيابًا للخروج، ثم استدرت نحوه متظاهرًا بالتفاؤل وأنا أخرج من جيبي ورقة صغيرة، أضعها أسفل المزهرية على الكومودينو..

"يالا بينا!"

4/14

أفتح عيني على إثر موجة الضوء الكاسحة، التي اجتاحت الحجرة في لحظة واحدة. وألقي بنظرة نحو الممرضة الحسناء الغبية، التي وقفت أمام النافذة، تحجب بسمتها الأشعة المنبعثة في قوة من الخلف..

"صباح الفل يا أستاذ! النهار دا أحسن كتير بعد علقة إمبارح.. ده أنت جننتنا يا شيخ!"

صمتٌ لحظات قبل أن يستوعب عقلي الواعي أن النداء موجه إليَّ..

نسيت أن أعرفك بنفسي.. أنا المدرس سليم عواد، أو هكذا قيل لي. أعرف أن الأمر صعب للغاية لكن الأطباء أخبروني أنها حالة مؤقتة لن تدوم إلى الأبد..

"صباح الفل يا سامية، أخبارك إيه؟ أنا متأسف على اللي حصل إمبارح"

بالكاد أجبرتني سامية على تناول بعض الطعام، عندما أعلنت عن عدم رغبتي في رؤية أي شخص اليوم. كانت شقيقتي تنتظر بالخارج، لكنني فضلت عدم مقابلتها، فلن أحتمل بكاء ونحيب وقبلات، من أشخاص لا أعرفهم ولا أظن معرفتهم تهمني في شيء.. أنا أريد استرداد ذاكرتي، وحتى يحدث هذا لا أريد ارتباط بأشخاص لا وجود لهم بالنسبة لي..

"يمكن يكون في مصلحتك إنك تشوفها، لو عايز نصيحتي"

نظرت إليها صامتًا. يعلم الله كيف أواجه تلك الأيام العصيبة وحدي، فما بالك بوجود أشخاص معي مثل هؤلاء الناس المدهشين؟! لا يمكنني بحال أن أتقبل فكرة أن تكون هذه أختي، وهذه خطيبتي وهذا صديقي.. مستحيل، هؤلاء لا ينتمون لي!

كانت نظرتي المناشدة تكاد تنطق بالرجاء الدامع، مما جعل سامية تبتسم في فهم وهي تقول..

"كنت عارفة إنك ها تعقل! دقيقة واحدة وأدخلهم.. يالا بقى عشان ربنا ياخد بيدك وتفارقنا!"

*****

كانت المقابلة الأولى معهم أكثر من مريعة، من هؤلاء؟! كانت العيون صادقة، لكن هذا لا يعنيني في شيء.. أين أهلي؟!

وفي منتصف الزيارة، دخل الطبيب ليبشر الجميع أنه كتب لي إذنًا بالخروج.. لكنني لن أخرج قبل الغد. فقالت تلك الفتاة السقيمة، التي لا تشبهني، إنها سوف تبلغ عبادة صديقي كي يأتي غدًا، ليحملني إلى البيت حيث نحيا سويًا.

ولكن يبدو أن عبادة كان أكثر حماسًا من أن يقدر على الانتظار للغد.. أتى عبادة!

4/13

آلام رهيبة تحيط بجسدي من كل ناحية.. يبدو أنني قضيت ليلتي في خلاط أسمنت، لا توجد كسور أو شروخ.. مجرد رضوض وكدمات بسيطة.

قال الطبيب إن السيارة استحالت صفيحة مياه غازية فارغة، لكن الحمد لله أنك بخير.. أخبروني أن سائق التاكسي كان هو السبب، ولكن من ستر الله أنهم استطاعوا انتشال سيارتي من قلب النيل خلال دقائق قليلة بعد الحادث.. لا وجود لأقارب لي بالخارج، ولكن من فضل الله أن أوراقي لم تبتل.. هكذا تعرفوا على شخصيتي وأبلغوا الأهل!

ربما يحضرون في الغد لأنهم ليسوا من سكان القاهرة، وربما لن يحضروا.. أتمنى ألا يحضروا. طلبت من الطبيب أن يمنحني كوب من الماء، فقال لي..

"اضغط هذا الجرس وأبلغ الممرضة بالخارج بما تريد، ولسوف تحضره لك على الفور"

حين سألتني الممرضة عن اسم المتحدث، ظللت لفترة صامتًا أفكر، قبل أن أكتشف حقيقة هامة.. لقد فقدت ذاكرتي!!

*****

كانت أختي هنا خلال ساعات.. ومعها في كيس نقودها حافظة بها بعض الصور صغيرة الحجم. كانت معي بعض الصور في حافظة نقودي، لم يصبها البلل بالتلف لحسن الحظ.. هكذا – من بين دموعها – كانت تتولى تذكيري بأسماء وشخصيات الناس بالصورة.. ولكن المشكلة الآن: من يذكرني بها هي ذاتها؟!

*****

حتى عندما أخبرني الدكتور أنني قد أخرج من المستشفى خلال يومين، لم يساعد هذا على تهدئتي.. بالعكس، لقد أتى الخبر وكأنه القشة التي قصمت ظهر البعير.. أعتقد أنني فقدت التحكم في أعصابي، وصرت أصرخ وألوح بذراعي كي ينصرف الجميع عني.. حتى أنني ضربت تلك الحسناء البريئة المسماة سامية، ممرضتي التي احتملتني بصبر، حتى استطاع الأطباء الاجتماع حولي وتقييدي، كي آخذ حقنة المهدئ.. بهدوء..

بهدووووووووو.. آه!!.. ووووء

4/12

أعتقد أن الجو اليوم أفضل من الأمس.. اتصلت بصديقي الوحيد عبادة وطلبت منه ألا ينتظرني على الغداء، فقد أتجه – بعد الانتهاء من العمل – إلى المنيل كعادتي من وقت لآخر.

لم أعد أسكن هناك منذ فترة، وليس لي صديق معين أذهب إليه هناك.. لكن هذا لن يمنعني من التجول في شوارع الحي.. من التمشية فوق كوبري الجامعة، مارًا بجميع باعة الترمس والحمص والورد.. وكلهم يعرف وجهي جيدًا.. مخترقًا شارع عبد العزيز بن آل سعود نحو منطقة جلوسي المفضلة.. أراقب المياه بعين، وأراقب العشاق بعين.. وبعين ثالثة أحاول احتواء مشهد الشمس الغاربة، وتسجيله خوفًا من أن أموت، فلا تتاح لي الفرصة لتكرار التجربة من جديد..

غضب مني عبادة كالعادة، عبادة يكبرني بخمسة أعوام، لكنه لم يزل طفلاً صغيرًا. لا يغرنك شكله الغريب، ولا طريقة انتقائه لثيابه.. أعتقد أنك لو أزلت هذه القشرة، فسوف تجد كيانًا شفافًا نورانيًا، يشبه الملائكة في رقتها وعطفها، بلا أدنى أدنى مبالغة.. ليت الزمن يجود بمثلك على كل قارة أيها الفتى الكبير!

وكان غضب الفتى الكبير، ناجمًا عن أنه سوف يضطر لتناول الغداء بمفرده، بعد أن تعب في إعداد سلاطة الطحينة التي أحبها!

مررت على مكتب بريد الجيزة في طريقي، محاولاً عدم الاشتباك مع باعة اللعب وشرائط الكاسيت الذين يفترشون الرصيف. كان معي مبلغًا من المال قررت إرساله إلى شقيقتي وأولادها في البلد، أتمنى أن يفي بالغرض، فيبدو أن زوجها مريض للغاية.. سبحان الله على المصائب حين تأتي جماعات، ولكن لا.. في مثل هذا اليوم اللطيف لن نتحدث عن المصائب والكوارث.

دعونا ننتهي من مشوار البوسطة سريعًا حتى يتبقّى لنا بعض الوقت لممارسة رياضة مراقبة الغروب على الكورنيش.. هل أتصل بنهلة خطيبتي وأطلب رؤيتها الآن؟

آووه! ألم نتفق أننا لن نتحدث اليوم عن المصائب؟!

كانت سيارتي مركونة بالجوار، إلا إنني فضّلت القيام بجولة واسعة للصعود، من خلال كوبري الجامعة بدلا من كوبري عباس، لأسباب تخصني وحدي.. ها أنا أتحرك.. ها هو الزحام ينفض تدريجيًا.. ها أنا أتحرك.. ها أنا أتحرك.. ها أنا أتحرك..

ها أنا.....

4/16

حين دخلت سامية إلى الحجرة في اليوم التالي لرحيل سليم، لم تلتفت لبعض الأغراض التي نسيها بالمكان. لقد ترك عدة أشياء، ربما عمدًا، لتكون ذريعة لعودته مجددًا، وربما سهوًا.. وقد تكون أشياء لم تعد هامة بالنسبة له.. مثل جهاز تشغيل mp3 الخاص به.. وحافظة أوراق، بها بعض الصور المبتلة لكنها غير تالفة.. وبعض الأشياء الأخرى.

لم تلتفت سامية لكل هذا لكن ما شد انتباهها كان ورقة صغيرة مطوية بعناية وموضوعة على الكومودينو أسفل المزهرية جاء فيها..

العزيزة سامية.. سأكتب لك رقم هاتفي وعنوان البيت الجديد الذي سأذهب إليه مع هذا الرجل.. هل سأراك مجددًا؟ لا أعرف إن كان يهمك أمري أم لا.. لكنني في الحقيقة لا أعرف في هذا العالم شخصًا سواك.. لو قلت إنني أحبك هل تعتبريني مبالغًا؟ بصرف النظر، لو قررت المجيء أخبريني، فلا تتركيني لهؤلاء.. أعرف أنك سوف تهتمين.. أشعر بذلك..

الطَّرق على أبواب الجحيم

"إذن أنت تعترف أخيرًا، ليس القتل على هذا القدر من السهولة التي تصفها"!

قلتها وتراجعت في مقعدي مرتجفًا رغمًا عني، أعترف بأنني لا أحب النظر إلى هذا الوجه. قال الرجل العجوز بصوته الجذاب، الذي يدعوك إلى النعاس ، وقد تأكد لي أنه فهم السبب الذي يجعلني أقطب جبيني متأملاً البساط وأنا أتكلم..

"ليس من العدل تصنيف الأمر على هذا النحو السطحي.."

قالها بصوت هادئ للغاية، ولكن كان لرنينه بأذني أثرٌ أقرب ما يكون إلى القهقهة، لم تفتني رنة السخرية الكامنة بين مقاطع عبارته البريئة. وللحظة واحدة تمكنت من اختلاس نظرة لوجهه دون أن تتلاقى أعيننا.

كان الرجل الذي قد جاوز منتصف عقده الثامن يبتسم ساخرًا بركن فمه وهو يسبل جفنيه.. اللعنة عليه! كم أمقت هذا الرجل.

أعترف بأنني لا أطيق من يبتسمون على الدوام بمناسبة وبدون مناسبة، أشعر بأنهم موشكون على إخراج ألسنتهم لي.. كأنهم بهذا يربحون معاركهم بمجهود أقل بكثير مما أبذله طيلة الوقت، بتجهمي وهذا الهواء الملتهب الذي يمر خارجًا من رئتي في كل لحظة.. أكرههم، وإن الكراهية بالنسبة لي لا تعني سوى القتل.. لكنني بحكم ظروف عملي كمفتش بالمباحث

الجنائية، لا أجد الوقت الكافي لتنفيذ تلك المتعة. ولو سنحت لي الفرصة لقتل كل من كرهتم بالحياة، لصارت الأرض خرابًا بكل تأكيد.

رأيته يمد يده اليمنى – الحرة – بشيء من العسر، يحاول تناول قلمًا وورقة من فوق المكتب فلم أعاونه. تمكّن بالنهاية من الوصول لمبتغاه دون أن تبدر منه لمحة لوم، ودون أن يتخلى حتى عن بسمته البراقة المخيفة، ورسم نقطة صغيرة تبرز منها أسهم ثلاثة..

"إن تحدثت عن القتل، فيجب أن تتحدث بما يليق بالقتل! إن القتل بمعناه البسيط لعبة لشخصين.. لكننا هنا نضيف العامل الأكثر أهمية: العامل الذي ربما كان هو من يتحكم في القتل كعملية، بدءًا من البداية. لدينا هنا قاتل، وقتيل، وسنضيف المحقق كطرف ثالث.

إن المحقق الذكي يصير لعنة.. خاصة لو كان هناك قاتلًا ذكيًا بالجوار. أحيانًا يكون ذكاء المحقق هو الدافع الرئيس وراء ارتكاب الجريمة.. فيخلق القاتل والقتيل بيديه لمجرد أنه يريد تأدية عمله ..لو كنت محققًا ذكيًا فلا تهزم قاتلاً ذكيًا.. ولو فعلتها، فتأكد أنك لم تتركه على قيد الحياة، حتى لا تترك مجالاً للتحديات المستقبلية بينكما.."

فكرت حينًا، ثم لم أشأ إطالة التفكير، وربما أن شيئًا ما بداخلي أراد تجاوز تلك النقطة.. فعدت أنصت إليه دون أن أنظر في عينيه..

"لو قسمنا صعوبات الموقف على الثلاثة عوامل لدينا، لحظي القتيل بالقدر الأقل من المصاعب.. إن مشكلة القتيل لن تتجاوز بعض الألم، وربما سؤال مندهش: لماذا أنا ؟! ثم ينتهي الأمر بالنسبة له.. سيتبقى لدينا بالنسبة للقاتل عدة أشياء.. الدافع مثلاً، وهو من أسهل الأمور لكنه ليس أسهلهم على الإطلاق. أنت لا تفكر في القتل أبدًا إن لم يكن لديك دافعًا أيًا كان نوعه .بعدها تبدأ في البحث عن بقية العوامل.. التنفيذ، وهو أسهل من الدافع بالمناسبة.. في الحقيقة هو أسهل خطوة في عملية القتل.. إن ضغطة الزناد أو طعنة السكين لن تستغرق منك سوى لحظة واحدة، كما أنها لا تحتاج لجهد عضلي يذكر.."

قاطعته هنا مستاء من الاتجاه الذي يسلكه الحوار..

"لحظة واحدة..!"

فقاطعني بدوره دون أن يتخلى عن ابتسامته المقيتة..

"أعلم ما تعني. إنني أتحدث عن الجانب الميكاني في التنفيذ.. حركة اليدين والقدمين والأصابع.. أنا لم أتحدث عن الجانب النفسي.. أعلم ما تفكر فيه!"

نهضت من خلف مكتبي فجأة، بحركة بدت له متوترة أكثر مما كنت أود، فتظاهرت بتنفيض بنطالي..

"تبًا! حشرات من المعتاد تواجدها هنا، خاصة ونحن في مكان رطب كهذا.."

"حشرات في يناير؟! اسمح لي أن أتهمك بسوء الحظ!"

عدت أجلس مجددًا، وقد أحكمت السيطرة على أعصابي. ثم قلت بنبرة هادئة نسبيًا..

"لقد ادعيت منذ لحظات أنك على علم بما أفكر فيه!"

"هل هذا هو ما أصابك بالتوتر..؟!"

أغمضت عيني مفكرًا. كنت أتأمل ظهره المحني وابتسامته القذرة ويده المكبلة إلى مقعده من خلف جفنين مسبلين.. لم أكن لأسمح له أن يراني أتأمله، قلت:

"بل على العكس، ولكن أرهَقتني لعبتك التي تحاول.. يبدو أننا لن نتفق فلن تستطيع إقناعي.."

صمت للحظات ثم هزر أسه في تفهّم. بالنهاية قال في لهجة محايدة تمامًا وقد تخلى أخيرًا عن بسمته المنفرة..

"أفهم هذا، وكنت أتوقعه على أي حال. من الصعب أن تعترف بأنك قد هزمت أمام قاتل عجوز مثلي.. إنها طبيعة بشرية تصعب السيطرة عليها.. يمكنك أن تنادي الجندي بالخارج ليعيدني إلى زنزانتي"

رمقته مذهولاً..لم أتوقع أن يكون انفعالي ظاهرًا إلى هذا الحد. لا أحب أن أسعد هذا المخلوق، والكارثة أن أي محاولة للنفي قد تزيد الموقف سوءًا! قال وهو يرمقني في ثبات غريب..

"عندما طلبت مقابلتي، توقعت شيئين.. إما أن يكون عقلك أكثر انفتاحًا، فتمنح ذاتك الفرصة للتعلم من نفسية وعقلية مجرم، يوشك على لقاء نهايته صعقًا بعد أيام.. وهي – لو أردت رأيي – فرصة لن تسنح لك كل يوم. وإما أن تكون أكثر عصبية وجنونًا تجاه الشخص الذي اعترف أخيرًا بأنه قاتل والدك.. ربما سدّدت لي لكمة أو اثنتين، أما أن تتظاهر بالعقلانية، بينما يصرخ حالك بالغباء والتصدي للفكرة، فهذا هو الغريب.. لم أخالك غبيًا، ولو عرفت لما ضيعت وقتي الثمين هنا! بالمناسبة، يمكنك اعتبار محادثتنا هذه هي درسي الأخير.. والأول في عدَّاد الفشل الخاص بي.. يومًا ما ستفهم كيف تكون ناجحًا في ما اخترت من عمل، ثم تنهي حياتك المهنيّة بأول فشل لك.. أعدك بهذا!"

*****

حينما دخل الجندي مسرعًا على إثر صوت الدوي، وجد العجوز مسبل الجفنين مع بسمة ساخرة وثقب في منتصف جبهته. وحينما تلاقت عيناه بعيني المحقق، صرخ الأخير إنه من حاول الاعتداء عليه أولاً.. تأمل الجندي ذراع الجثة المقيّد، ولم يعلّق. وخلال لحظات كان المكتب يعج بالعشرات من رجال المباحث، كلهم جاءوا بحثًا عن مصدر الصوت.

نهض المحقق مستسلمًا مع زملائه بعد أن ترك سلاحه على سطح المكتب، كي يتم التحفظ عليه. بينما يتردد صدى ما في جنبات عقله المنهك..

"يومًا ما ستفهم كيف تكون ناجحًا في ما اخترت من عمل، ثم تنهي حياتك المهنيّة بأول فشل لك.. أعدك بهذا..!!"

قوانين الفوضى

كان موعدي الأخير مع ذلك الطبيب.. لا أحب أن أخلف موعدًا وبذات القدر لا أطيق زيارة ذلك الرجل المخبول.. إذن فالحل الوحيد هو أن أذهب لأقرب مصدر للمياه لأحظى بحمام دافئ.. علها تنزاح تلك الغشاوة الضبابية عن ثنايا عقلي المستيقظ لتوه.. فربما تتقرر الخطوة القادمة من تلقاء نفسها!

نضوت ملابسي كالعادة وألقيت بها تحت قدمي قبل أن أكتشف المفاجآة اللطيفة.. نسيت كالعادة أيضًا أن أحمل معي ثيابًا نظيفة.. ناديت بأعلى صوت غاضب على من بالخارج..

"يا أهل الله!!"

لدقائق جاوبني صمت مطبق قبل أن أتذكر أنه لم يعد هنا غيري بالشقة.. أو بمعنى آخر.. من يقتسمون معي السكن لا يظهرون في مثل هذه الساعة المبكرة من اليوم.. لا بأس أن أضطر للخروج عاريًا ، لو لا أن شباك الصالة مفتوح عن آخره.. حتى هذه الحقيقة لا تمثل مشكلة كبيرة.. أليس يدعي أنه طبيب؟.. فليعالج التهابي الرئوي بالمرّة!!

*****

حاولت كثيرًا إشعال السخان الغازي.. تبًا!

كيف نسيت أن مفتاح الإشعال الذاتي قد تلف منذ شهرين؟.. لدي قداحة هنا.. فلا يتبقى إلا قطعة من الورق للقيام بجريمة كاملة ولكن قل لي

كيف الحصول على مثل ذلك الحلم هنا والآن؟.. قلبت الرف بحثًا عن قطعة ورق أو عود كبريت يصلح ، حتى أن بعض الدبابيس التي تناثرت قد وجدت طريقها لأصابعي أكثر من مرة.. لمن هذه الأشياء القذرة المؤذية؟!.. كان الهواء الداخل من أسفل الباب قد أحال أصابع قدمي إلى قطع صغيرة من الجليد.. فلم أجد بدًا من الخروج حافيًا عاريًا مرتجفًا لأقتطع ورقة من تقويم الجدار.. إنها ورقة الغد.. لا مشكلة.. فلن أبحث أكثر.. قطعتها لشرائط صغيرة حتى تصلح للاستخدام أكثر من مرة.. واتجهت لوضعها في الركن العلوي من رف الحمام حيث لن يطالها الماء وتظل في مكان منظور.. لأفاجأ بالعديد من الوريقات المحشورة في البقعة ذاتها.. تبًا لذلك المرض اللعين.. لقد أخبرني الدكتور باسمه ذات مرة..

*****

"الزآيمر.. يمكن كتابته في ورقة ووضعها بجيب قميصك لو كان الأمر مهمًا.."

"لو أخبرتك بعدد القمصان التي تحمل بجيوبها أوراقًا مغسولة صار مستحيلاً تبين ما بها ، لصفعتني كما يفعل العبيد مع أسيادهم!!"

"من؟!!.. ما علينا.. لنعد إلى الموضوع الرئيس.. من المفترض أنها جلستنا الأخيرة.. للأسف كما تعلم أنت الوحيد الذي يمكنه أن يدلنا على شخصية القاتل ، وهي من سخريات القدر شديدة الوطأة.. نظرًا لحالتك الذهنية.. ولأسباب أخرى نحن في غنى ذكرها!"

تأملته قليلاً.. دون أن أجد ردًا مناسبًا يوازي غباءه وقلة ذوقه.. كان معطفه الأبيض نظيفًا لكنه غير مكوي.. وكان يتمتع بعينين جاحظتين تشبه الواحدة منهما بيضة مسلوقة كاملة في الحجم والشكل!.. ذا شعر نافر كأنه تعرض لشحنة ستاتية هائلة.. لن أتحدث عن خوذته العجيبة التي تتدلى منها عشرات الأسلاك والهوائيات.. يمكنني اختصار الوصف في كلمة واحدة فقط : عبقرينو!

لكنه للأسف كان الأخير.. بل الوحيد الذي يدعي القدرة على استخلاص الحقيقة.. وكان يؤمن حقًا بما يفعله.. لدرجة أن رجال المباحث تركوه يواصل محاولاته بينما هم يعملون في اتجاه آخر..

لم نكن وحدنا بالغرفة.. كان هناك أكثر من شخص.. كلهم يرمق الدكتور بنظرات مترقبة.. البعض غير مصدق والبعض يرتجف خوفًا.. لكن الملاحظ عليهم جميعًا أنهم كانوا يتجاهلونني تمامًا وكأنني غير موجود.. حتى عندما وجهت كلمة لأحدهم ولم يرد ، قال الدكتور..

"دعك منهم.. لن تستطيع التواصل معهم ، فقط أنا أقدر.."

ففهمت أن لتلك الخوذة الغريبة دور في وجود تلك الكيانات ، وربما كانت هي وسيلة اتصاله بهم..

كان هناك قاتل ما يريد مني أن أدله على شخصيته.. أنا بالذات!

ضحكت في سري وأنا أفكر أن اللافتة على بابه والمكتوب عليها E.S.P كانت لتكون أكثر مناسبة لو كتب عليها (نخترع أي شيء)!!

كم أرهقتني جلسات ذلك الرجل المهووس.. والتي قد أسفرت في النهاية جميعها عن: لا شيء..!

لا أستطيع تجميع مشهد كامل ، كأنني قرص صلب تعرض للتلف..

والكارثة إنني بالفعل الوحيد الذي بإمكانه أن يدلهم على القاتل لسبب وحيد غاية في البساطة : وهو أنني أنا القتيل!!

*****

كان لغزًا حيرهم طويلاً حتى قرر أحدهم أن استخضار روح القتيل وسؤالها عن قاتلها هو الحل الأقرب للصواب!

ولكن من كان يتصور أن يكون الشاهد الوحيد الذي يعتمدون عليه ، يتمتع بخلايا مخية أشبه بالبطاطا المهروسة؟!

البطاطا! تذكرت إنني نسيتها في الفرن قبل أن.. ففف.. حسنًا ، لم يعد ثمة داع للقلق على أية حال.. فلابد أنهم أكلوها محترقة وهم يبكونني بدلاً من القهوة المرة.. ولكن من يمكنه تناول البطاطا الملوثة بال....

مستحيل! لقد حدث معجزة نادرة الحدوث، أعتقد أنني تذكرت شيئًا ذو قيمة!!

*****

وضعت يدي بجيب قميصي ، بالفعل أنا أتذكر.. هذا هو القميص الذي كنت أرتديه حين قتلت.. أعتقد أن الورقة قد تلفت من الماء تمامًا.. كما أنها ورقة شبحية مثلها كمثلي.. لن يمكنني إعطائها للدكتور.. سوف أضطر لمحاولة فتحها بنفسي..

أعتقد أن الدكتور لمح بريق الفكرة بين عيني فتابعني متلهفًا في صمت.. حتى أن أحدهم حاول سؤاله عن شيء ما ، فردّه بتلويحة غليظة من كفه تدعوه للصمت..

كانوا جميعًا ينتظرون في توتر.. وكل منهم يتوقع أن تهبط يد أحدهم على قفاه لتسحبه إلى حبل المشنقة..

كانوا أسرتي الكريمة.. التي لن يخرج قاتلي عنها بحال.. أحاول فض الورقة بشيء من التعقل كي لا تتحول بين أصابعي لحفنة من التراب.. فقد أحالتها مياه البحر على مدار ثلاث ليال إلى شيء لا يعقل.. أؤمن أنها تحوي إشارة تدل على القاتل.. قد تكون ملحوظة منه أو فاتورة مكتوب بها اسمه.. يكاد عقلي يذوب من فرط الاعتصار.. لا فائدة من محاولات التذكر.. فقط يبقى الأمل في أن أستطيع استخلاص الحقيقة من بين رقاقاتها الهشة وقطرات حبرها الذائبة..

للأسف..

فشلت العملية..

ألقيت بها في جيبي مرة أخرى مما جعل الطبيب يتنهد في يأس ، ثم يقول..

"لا بأس من تجربة التنويم المغناطيسي لآخر مرة.. ما رأيك؟!"

فكرت أنه عتل صفيق ذلك الرجل الذي يستحضر شبحًا من أجل تنويمه مغناطيسيًا!!

ما هذا البال الرائق؟!.. لا أظنهم قد يلجأوا إليها مرة أخرى ولو كان القتيل هو قارون ذاته ، إلا إن أهمية القضية تكمن أصلاً في أن أسرة من خمسة أفراد ، قُتل أحدهم وألقي في البحر وينتظر أن يكون أحد الباقين هو القاتل.. أعتقد أن الأمر يستحق بعض الجهد.. ولكن إلى هذا الحد من الجموح...؟!

"لكنك فشلت في تنويمي المرة السابقة!"

"لا بأس من تجربة أخيرة!"

قالها بيأس أكبر من يأسي فلم أشأ مناقشته.. ونهضت معه نحو الشيزلونج ، حين انفتح الباب فجأة ودخل عبره ضابط شرطة يبدو مهيب الطلعة ذو رتبة كبيرة..

"من الجيد أنك هنا يا دكتور ، لقد استطعنا انتشال جثة ذلك القتيل أخيرًا ، ووجدنا بداخل جيبه دليل على هوية القاتل.. فقررت المرور لاعتقادي بأن الأمر قد يهمك.."

التفتنا جميعًا إليه وهو يتابع..

"استطاع رجالنا معالجة الورقة ليكتشفوا أنها لم تكن سوى خطاب وداع.. قبل الانتحار!!"

الباب الثالث

قصص بقلم..

إيمان الدواخلي

قصص قصيرة جداً

معادلة ثنائية فقط

هو: تبكيني كل صباح، ثم تعدِّل زينتها في مرآتها الصغيرة، قبل أن تنزل..

هي: أتزين لا زلت، كي تراني روحك كما تعودتني!

هم: ةبثخصهقبجحنو وقى نركؤؤمءصحنمرة روزثحبخنرن رقو.. (لا فائدة وراء معرفة ما يقولون)

*****

حي

الجثث من حوله، وأصوات الطلقات في أذنه، وما يدخل رئتيه إلا دخان.. يصر ألا يطلق أسر الروح من بين ضلوعه، فيغلق عقله عن كل ذلك، ويطلق عينيه إلى السماء، ليرى وليدته، التي لم تأت بعد، تمتص الحياة من ثدي أمها

*****

جندي

شرد فوق التلة الرملية في نوبته في تلك الليلة المظلمة بلا قمر .. جندي.. ما معنى هذه الكلمة؟.. ألأنه يلبس هذا الزي ويحمل سلاحا فهوي جندي؟ أم أن الجندية تعني القضية المجند لأجلها؟ .. تعب من البحث عن قضيته دون جدوى.. عد الرصاصات التي ضخها سلاحه في الرؤوس ..

فز من شروده على نداء الضابط: يا عسكري!

*****

الثَّائر

ولأنه صديقه، ثار على خصامهما السياسي، وبكاه في جنازته

*****

اختلاف رؤى

المسألة لم تكن أبدًا مجرد ذائقة في ديكور عشنا.. المسألة أني أردته عشًا يحتوي مخاوفنا ويريح قلبينا، ولم تفهم هي.

ما الذي يعجبها في أن تخايلها الصور في كل مكان هنا؟!.. أتحب صورتها إلى هذا الحد؟ ..

المشكلة، أنني لا أستطيع أن أشرح لها كيف أني لا أرى صورتي في تلك المرايا أبدا.

*****

كانا

عبس وتولى، فتولت وعبثت

*****

كابتشينو

تأخر كثيرا، حتى تنحنح مضيفه أكثر من مرة وراء الباب. ضغط زر الصرف مرة أخرى، ولا أمل. الباب يطرق، اسمه ينادَى، نبرة أعلى، الطرق يتحول إلى خبط.

يكاد يبكي.. لم يتعرض لموقف كهذا من قبل. لو كان في فندق أو محل عام، لهان الأمر، لن يكلفه رفع الحرج أكثر من ورقة مالية بخمسة جنيهات، ويترك الأمر للمختص.

– أستاذ كامل.. أستاذ كامل في حاجة؟

يتنحنح، فيسكت الصوت لدقائق أخرى، لم يستجد فيها جديد، ثم يعود..

– أستاذ كامل.. لو سمحت طمنني وإلا هاكسر الباب أنا قلقت

أغمض عينيه، تمتم يدعو، ضاربًا عرض الحائط بزجر أمه العجوز ألا يذكر الله في الحمَّام. لا يرى سببا على الإطلاق.. يحاول أن يتذكر ماذا أكل بالأمس؟ لا شيء غريب، فقد شرب الشاي، ثم نزل، وعاد للغداء أرز و....

– أستاذ كامل لو سمحت..

– أنا بخير يا جماعة في ايه

انتفض وقد فاجأه مضيفه يزعق غاضبا..

– بخير ايه انت بقالك ساعة الا ربع جوة!

أطبق الغطاء، وجفف يديه وخرج، يحاول أن يبدو طبيعا. وجد الموجودين كلهم واقفين صفًا في استقباله، فابتسم.. حاول أن يخفف معالم الغضب المتجمعة حوله، فسأل:

– هو الكابتشينو برد وللا ايه؟

ضحك من ضحك مجاملا، وتنهد من تنهد مرتاحا، وزفر أغلبهم غيظًا. توجهوا كلهم معا إلى الصالون، حيث جلسوا، وقدمت سيدة المنزل المشروبات، كل له طلبه، وأخذ هو منها الكابتشينو الذي رفض الساقع وأصر عليه.

– تسلم ايدك يا مدام هناء. أنا عاشق خبير في الكابتشينو..

رشف رشفة أخرى..

– هممممم.. ممتاز

ردت في اعتزاز..

– مش أي حد بيعمله صح فعلا. أنت عارف ان في محلات بتستخدم إضافات غير صحية خالص علشان مافيش سرفيس محترف كابتشينو؟..

رفع حاجبيه، يمثل الاندهاش، ويماثل الاهتمام، مجاملة للسيدة. تحمس للحوار..

– كل حاجة بقت مغشوشة بدون أدنى مراعاة لأذى الناس وصحتهم.. هو الكابتشينو فيه ايه علشان يتغش، ده قهوة وسكر ولبن وممكن شوية شوكولا مش أكتر..

هزت رأسها..

– لا بس صنعته والرغوة الغنية دي مش أي حد يظبطها.. حتى أحيانا بيستخدموا لتثبيتها صمغ عربي، خصوصا في الكافيهات الفقايري، اللي مش هتقدَّر السيرفيس الكويس اللي يعمل اسم للمكـ....

قاطعها..

– حضرتك متأكدة من المعلومة؟ صمغ!

أومأت برأسها وأجابته، فلم يسمع إجابتها.. كان شاردًا في تفسير اتضح لما تركه لأهل البيت وراءه..

اعتذر مستأذنا، ومتحججا بدوّار يلف رأسه، وهاربًا.. وفي الطريق إلى الذهاب، سمع صراخ الصغير من وراء ذلك الباب، يختلط بصوت اندفاع الماء..

– يووووووووه ايه القرف ده!

صبغة شعر

منذ فترة ألاحظ أنها تبتعد عن مصاحبتي والجلوس معي، تكتفي بالحضور كل بضع ساعات، تطمئن لوجودي، ثم تعود إلى كارتونها المحبب. يتطور الأمر أكثر، و قد بدأت ترفض الطعام، خشية أن تكبر فأموت أنا!.. كلما شجعها أحد من الأقارب في أي تواجد عائلي على الأكل بقوله: كلي كي تكبري، ترفض الطعام تماما، وتقوم معلنة انتهاء المحاولة. لا يهمها أن تكبر لتصبح جميلة مثل باربي، أو أميرة مثل سندريلا.. تصيح من قلبها إنها لا تريد ذلك. أصبح تشجيع الآخرين بتلك الكلمات يكدرني، ويضطرني لشرح الأمر، والكل يتساءل عمن هو الإرهابي الذي زرع في رأسها تلك الفكرة الغريبة، وقد يتجهون بسؤالهم لأخويها الأكبر، ربما فعلوا من باب مرح المراهقين

بعد ذلك بمدة ليست قصيرة، بدأت تفيض بما نفسها بشكل مختلف.. تقول لي إنها تكره الشيب في رأسي، وتعلن أنها تخاف منه!.. تقول إن معناه أني عجوز، والعواجيز يموتون، ولن يصبح لديها أم. أنا أكره الصبغة، وأحب أن أرى أثر الزمن عليّ، بصمة لسنوات أحبها ولا أبتغي إنكارها. لكن مع ازدياد الأمر، لم يعد بد، فالأمر يزداد تأثيرا عليها، ووزنها ينقص، وابتعادها عني يتفاقم.. واضطررت فعلا لصبغه

تحسنت علاقتنا بأسرع مما أتخيل، وعادت تجلس معي، تأكل غير رافضة تماما لفكرة أنها ستكبر، وإن أصبحت أستبدل تعبير كلي لتكبري بكلي لتصبح صحتك أفضل ووجهك أجمل ويمكنك إطالة شعرك. واستجابت لتقربي منها، وعدت أقرأ لها الحكايات، خصوصا وقد وجدت

أعداد المكتبة الخضراء على الإنترنت، فأنزلتها على حاسوبي، وبتنا نحكي منها حدوتة قبل النوم.

سندريلا كانت يتيمة الأم، سنو وايت أيضا.. كلهن بطلات تلك الحكايات، التي تجذب الصغيرات، وتعشقن ثيابهن وأميرهن.. لم يشغلني ذلك حين كنت بمثل عمرها، ربما لأن أمي كانت أصغر كثيرًا.. لكن خافت صغيرتي من يتمهن!..

أثار الأمر تساؤلي قويًا.. لماذا يرى أصحاب الخيال أن من دواعي قصة الطفل أن تكون البطلة بلا أم، وأن تكون زوجة الأب شريرة جدًا؟.. بل إن ذلك في كثير من القصص لا يضيف ذلك شيئا للأحداث، فما مبرره؟ هل لمجرد إثارة التعاطف مع البطلة؟.. هل بغرض ونية حسنة لجعل الأطفال يحمدون الله على وجود أمهاتهم؟!.. لا أفهم الدافع، وأنظر إلى منابت شعري، التي بدأ الشيب يظهر فيها مجددا، وأحتار فيما أنا فاعلة، فلا زلت أكره الصبغة، ولم تزل ابنتي الصغيرة تعبر عن مخاوفها، التي زرعها فيها تكرار الأمر في العديد من الحكايات والكارتون.

ليلة على سطح دارنا

أستلقي على أرضية سطح الدار، أتلمس نسمات الصيف الشحيح. هذه الليلة، كان الحر كأقسى ما يرد إلى أرضنا.. وكان العرق لا يتبخر، وسط ذرات الرطوبة، التي جعلت جلدي لزجا مقرفا، يلتصق به تراب السطح. ليست هناك نسمة تراودني عن نفسها، والعرق يغمرني، ويسقط من جبيني فوق جفنيّ، فيغشي عينيّ.

من وراء تلك الغشاوة أتوا.. كانوا ثلاثة.. فزعت، ورفعت كفين مهتزين أدعك عينيّ، وأزيل العرق، وأبحلق في القادمين. كلهم في الظلام متماثلين، لهم من الضخامة ما هو كفيل بإفزاع شحتة الخفير نفسه. قمت بجذعي، ملتصقا بظهري لسور السطح، ولكنني فقدت الإحساس بطرفيّ السفليين بكاملهما، فلم أحاول الوقوف. أي وقوف!.. أهناك فرصة للهرب، كي أجاهد للوقوف من أجلها؟!

اقتربوا، ومعهم رائحة لا تطاق. قرأت مرة أن حيوانات تتخذ من بولها وسيلة تعارف، لذا فهي لا تتورع عن التمرغ به لاكتساب رائحته.. لا أذكر أكان ذلك للأسود أم ماذا. حسنا، لم يكن ذلك وقت التركيز مع بيولوجية الحيوانات، وبولها، وإنما الأولى أن يكون تركيزي فيما أنا فيه من مصيبة. غطيت أنفي بيدي، وجلست في مكاني ثابتا، آملا ألا يدركوا وجودي، ويكتفوا بالدجاجات المجتمعة في ركن السطح الآخر. تذكرت الديك، فأغمضت عيني بقوة، وأملت أن يشبعوا قبل أن يفتكوا به. إنه جميل، كبير، منفوش، بهيج. لكن زوجتي ستحزن على الدجاجات أكثر، فهي التي تبيض لا الديك.. التضحية بالديك عسيرة، لكن كآبة تلك المرأة أشد عسرًا.

حسنا، لعلهم يتركون مع الديك دجاجتين أيضا. بهذا يمكن لكل منهم أن يأكل أربع دجاجات أو أكثر.. ألا تكفي أربع دجاجات بطن ذئب؟

العرق يغطي جفنيّ مجددا، ولا أجرؤ على التحرك لمسحه، ولا على إغلاق عيني كي لا يدخلها، بما يحمله من ملح وتراب وجراثيم كانت عالقة بجلدي. لو أصابني رمد في عيني، فسيكون هذا بشعا، فأنا أشمئز من تلك الإفرازات الجافة التي تخرج في زوايا أجفاني.

ليس الوقت مناسبا للقرف والاشمئزاز، فقد باتوا على بعد خطوات مني.. لو قفز أحدهم، فسيهتك رقبتي في لحظة. هل سأصرخ إن فعل، أم ينتهي الأمر أسرع من إشارة المخ لحنجرتي؟.. من حقي أن يخرج صوتي ليعرف النائمون بالأسفل ما يحدث لي، ويشاركونني الفزع. تبا لذلك الهذيان.. للمرة الألف ليس هذا وقته.

إنهم ثلاثة.. أحدهم أسود كالليل، والثاني أبيض كالنهار، والثالث خليط من الليل والنهار.. أيمكنني أن أسميه المغرب؟.. تبا تبا.. إنني على ما يبدو أفقد عقلي رويدا. ذلك الأبيض يتشممني، يلصق أنفه بي.. عجبا!.. رائحته ليست بشعة. يقترب الآخران فيتشممان أيضا.. ثم يحملوني بأسنانهم، اثنان من كتفيّ، وواحد من فخذي، ويتركون ساقي الأخرى تجر على الأرض. ثقيل أنا، ولكنهم استطاعوا حملي!

العجيب، أن أسنانهم كانت رفيقة بي!.. أغمضت عينيّ تماما، لا أحتمل تخيل القادم. أعتقد أنني غبت عن وعيي لفترة، ربما لشدة الخوف. أعرف

أن الخوف الشديد قد يسبب صدمة وإغماء. أفٍ لي ولفلحس أفكاري في وقت أنا أحوج ما أكون للتركيز في مأزقي.

أخرجني من تركيزي صوت صفير متقطع، وشيء بارد على وجهي.. فتحت عيني فزعا أن يكون لسان أحدهم، فإذا بالأبيض يبتسم، قائلا:

حمد الله عالسلامة

ويفزعني صوت الأسود بجواره:

ضربة الشمس كنت هتروح فيها، بلاش نومة السطوح دي

وتلك المغرب، زوجتي، تبتسم.. تبتسم!.. إذًا دجاجاتها سليمة. فزعت أسأل:

والديك؟

صمت الثلاثة، لا يفهمون عما أتكلم.. أفقت من هذياني – أو هكذا ظننت– فصخبت بالضحك، فتبادلوا معا النظرات، ومن جديد لبسوا فرائهم المفزع!

الركن

كانت هناك، في ذلك الركن القصي، في الظلام، حيث لا أحد يفكر في الانحناء لينظر ماذا هنالك. تراه يعبث بتلك الفتاة المستجيبة للمساته، وتضحك بلا صوت، كي لا يدرك وجودها، رغم تأكدها أنه لن يسمعها، ولن يدرك وجودها.

أخيرا ها هي الفتاة تصلح هندامها، تمنحه، أو تطلب منه منحها قبلة وداع، فيجزل عطاءه، ثم يدعها تنصرف إلى الباب، دون أن يقوم من الفراش. ربما لا يحب أن يقوم من الفراش بسرعة بعد منازلات العشق. إنها فرصتها، وقد ارتخت أجفانه، وآن للنعاس أن يسيطر عليه.

*****

قام، لا يدري كيف قام، أو لماذا.. لكنه الآن قد أفاق، ليجد نفسه في منتصف الغرفة. إنه يطير!.. لا يتخيل، بل هو بالفعل معلق في الهواء.. حاول تحريك يديه، لا يمكنه ذلك.. حاول أن... أو... حاول... لا شيء سوى أنه يرى! راقبته طويلا.. ضحكت.. هل سمعها؟.. رآها؟.. لا يدري، لكنه أدرك وجودها هناك. لم يمكنه إبداء أي رد فعل. ماذا به؟.. غاظه هذا الشلل الملم به.. أو ربما عجز عن الغيظ!..

بدت له هي الأخرى عاجزة عن التحرك، في مكانها العجيب في ذلك الركن القصي المظلم، حتى أنه حار كيف استطاع رؤيتها، أو كيف تستطيع هي البقاء فيه!

*****

كان هناك، في ذلك الركن القصي، في الظلام، حيث لا أحد يفكر في الانحناء لينظر ماذا هنالك. يراه يعبث بتلك الفتاة المستجيبة للمساته، ويضحك بلا صوت، كي لا يدركا وجوده، رغم تأكده أنهما لن يسمعانه، ولن يدركا وجوده.

الفتاة تلملم نفسها.. تمنحه قبلة الوداع، فيجزل العطاء.. يبقى في الفراش ولا يقوم لوداعها، وقد ارتخت أجفانه. هذا المشهد قد مر من قبل.. متأكد أنه عاشه بكل تفاصيله.. ما الذي يحدث أيها المعتوهين؟!

فرصتها.. إنها لم تخرج من الباب، بل عادت ثانية متسللة، وقد ظن أن صوت الباب كان وراءها. إنه ليس نائما.. إنه.. أهذا نفس ما حدث معه؟!

ها هو، معلق في الهواء، يدرك بوجودهما، فيضحكان، ولا يبدو منه أي رد فعل، لكنهما يعلمان أنه يتساءل عن ذلك الركن القصي المظلم الذي يسكنان فيه.

*****

تلك البلدة مالها؟ أين ذهب الناس؟ كل الموجودين عجائز وشيوخ!.. قالوا في حكاويهم إن أهلها كانوا كثر، كانوا عشاقا، أحبوا الحياة. قالوا.. كانوا لا يتناهون عن الغرام، عشقوا الفراش، العبث، وقبلات الوداع. كرهوا الموت حتى بحثوا عن تعاويذ الحياة بأعمار الآخرين. قال أقربهم إلى الأرض – من فرط انحنائه –: إن أردت إيناس الشباب، اذهب إلى ذلك الركن القصي المظلم.. ستجد هنا خلطة من تراب كثير، انفخ فيه من روحك، فربما تبعثهم للحياة.

ضحكت عجوز مكرمشة..

– وإن لم تفلح... لا شيء، سيرتفع التراب قليلا.

مالهم؟!

زحام كبير، يزداد اتساعا، يهرب المتعجلون منه، ويزيده الفضوليون حضورا. الحكاية أن..... كيف عرف الرجل؟ إنه بعيد جدا عن بؤرة الزحام. أدفع هذا، وأتملص من ذاك، وأخترق اللامسافة بين المتزاحمين، فأسمع حكاية مختلفة تماما من الأقربين.

يالذلك الفضول الذي ما امتلكته وإنما هو ملكني. لا أرضى بما سمعت، أريد التيقن أيهما الأصدق، وأريد استكمال التفاصيل.. ربما أتمكن أيضا من التقاط صورة بكاميرا هاتفي.

بعض القسوة ستدفعني للأمام، لأخترق أولئك الملتصقين بالأرض، لا يريدون التعتعة من مواقعهم. ما الذي يجذبهم لكل ذاك الوقوف، الزحام، الحر، التدافع،... البهدلة؟! أفٍ لهم، عضلاتي تؤلمني ولم أصل بعد..

أحقًا؟! هذا كل ما هنالك؟ تلك الفتاة تجري حوارًا مع الرجل بـ(ميكرفون) يحمل (لوجو) قناة فضائية!.. أقترب للصف الأول.. حسنا، هكذا أفضل.. تلك الفتاة تجري حوارًا، ربما.. تجري لعاب الرجال المزدحمين، أكيد.

أتأملها.. رفيعة كالخيرزانة، سمراء مطلية حتى البياض، شعرها الطويل لا يبدو لي طبيعيا.. فخذاها الشبيهان بالمسمارين مكشوفان إلا بضعة بوصات قليلة تسترها تنورة لم تتكلف أكثر من ربع متر من القماش المطاط.

ضحكت، حتى أنها رمقتني في غضب.. أشرت بالاعتذار، فالإذاعة على الهواء الآن، وضحكتي ربما بانت فيها. بدأت رحلة الخروج من الزحام، مجاهدًا بلا دافع مغرٍ من الفضول هذه المرة.. أدفع المتزاحمين بقسوة أكبر – هم يستحقون– .. وخرجت أتنفس بعمق أخيرًا.

جذبني من ذراعي، يسألني عما هنالك!.. فتحت فمي لأرد، ثم نظرت له لحظة.. قلت له وقد رسمت الجدية على ملامحي إنه مخلوق غريب وطبق طائر صغير هناك في بؤرة التجمع. نزعت ذراعي وأسرعت مبتعدا، ثم وقفت أضحك وأنا أراقب قسوته في اختراق الزحام بلهفة.

وطن

هنا فقط.. استقر وجودنا، بعد أن طردنا بلد، ورفضتنا بلاد. يقولون في الحكايات القديمة عن السفر "بلاد تشيله وبلاد تحطه". أين تلك البلاد الغابرة التي تشيل؟ أين ذلك الذي أعطاه الحظ بلادًا تشيل؟.. لم نجد سوى أرض تحط منا، وأرض تلفظنا.. ما عادت الأرض تحمل غير المنعَّمين، حتى تساءلنا: هل كفرت اليابسة؟!

هنا فقط.. رغم كل شيء، البرد، الوحشة، أشياء أخرى لا أعرف وصفها.. رغم ذلك، فنحن نأتنس ببعضنا البعض، ونجتمع على الاستكانة للهدوء. لا شيء يؤرقنا، لا صراع على الرزق، الكل سواء، لا تمييز.. ربما حتى أشكالنا مع الأيام تقاربت، ولم يعد بيننا كثير فروق.

هنا.. يؤسفنا أحيانا ألا نجد أحدنا.. يأتي الضجيج، فيختفي معه؛ قد تمر أيام ثم يعود بيننا.. وقد لا يعود. أمواج تزيحنا، وأمواج قد تعيدنا.. ولكن – إلى الآن– لم يلفظ البحر أحدنا خارجه.

حور

كن في ذلك اليوم أقرب للزهرات.. الإشراق معرّفٌ بوجوههن. كن يضحكن في خفر، ويلقين تعليقات أبعد ما تكون عن الحياء. تناقض بهيج، لفراشات تطير مع الأمل.

قسن الكثير.. الأحمر والأبيض والأسود.. دوما تختار البنات تلك الألوان الثلاثة، ولا دليل على شخصياتهن منها، فلم تزلن ترين بعين التقليد لما تسمعن أو ترين على الشهيرات أو تقرأن عن دلائل الألوان.

دونهن لم تفعل. وقفت على بعد، تستحي من النظر إليهن، وتستغرب وجودها في محل الـ "لانجيري"، وتتابع الشارع من وراء الزجاج، كأن أهلها سيقفشونها في أي لحظة. دونهن، تركت الأحمر والأبيض والأسود.. وتركت عيناها الطريق بالخارج، وتعلقت مجبرة بذلك البنفسجي. اقتربت منه مسحورة.. مدت كفها الصغير في خشوع، تكاد لا تجرؤ أن تمسه.. كم هو ناعم، بسيط.. يحبها!

البائعة تراقب، تعرف أن البنات غالبا تتسلين بلا شراء، ولكن "سمعة المحل" تفرض عليها أن تصبر، وتغتاظ وتصبر، وتتعب في ترتيب ما يخلعن وتصبر، وتبتسم!

البائعة تفكر، ماذا لو صورت الفتيات في تلك الملابس.. تشرد حالمة بمكاسب تجعل المكان ملكها، ولديها فتاة، بائعة، تصبر.. البائعة تفيق من شردوها على "شكرًا".. والمحل يخلو منهن ويهدأ.. وكومة مما قسن تحتاج إعادتها للمشاجب.

تسب أحلام البنات، تدعو عليهن ألا يلبسن شيئا مما قسن.. لم يعنِهن إلا بعض الهرج، ولم تعنِ هي أو تعبها من ورائهن شيئا في نفوسهن.. كادت تدمع، حين رأت ذلك المكان الخالي!.. هذا المشجب كان يحمل قطعة ما.. البنفسجية!

همت بالصراخ، لكنها تذكرت الفتاة الصامتة الخجِلة، التي لم تلتفت إلى الأحمر أو الأسود أو الأبيض.. فوجئت بنفسها مبتسمة، تغبطها أن حصلت على ما تمنت في هدوء!

تاكسي سواريه

تلك الـ (مهنة)، بإضافة "ي" تمسي (مهينة)، ودومًا – في النهار– يجد من يضيفها!. ضجيج الصباح يجعله يختنق، البطء يصيب صدره بالكآبة، غباء السائقين يدفعه لمشاحنات لا مفر منها. ووقتها، لا يجدي معه لا فراولة ولا أبو صليبة ولا شيء من صانعات المزاج. لا يحب البانجو، فهو "ضار بالصحة" يسبب البلاهة على المدى الطويل.. ليس من يضحي بعقله لأجل مزاجه، هكذا يقول.

السؤال النهاري الذي تحدى ذكاءه: إذا كان الرجال في أعمالهم، والنساء في بيوتهن، والمحلات لم تزل مغلقة الأبواب، ففيم الزحام؟!.. ولما لم يجد إجابة تقنعه، قرر.

الهرب ليس ضعفا في المطلق، بل ربما أحيانا هو العبقرية بعينها، حين يكون المنجيِّ مما يصرعك. بهذا القانون الحياتي قرر العمل ليلاً، فقط ليلاً، وليكن الصباح للنوم.

أمه غير راضية، تقول دومًا إن البركة في البكور، ودائما يرد أنه يُحصِّل البكور في الفجر، فيأخذ البركة، ثم ينام.

زوجته غير راضية، لا تفكر في البركة كأمه، ولكن تنعى همّ الليل وزبائن الليل. تقول دومًا إن الليل لن يركب فيه إلا السكارى والعاهرات.. تقول إن عطورهن تلتصق بجلده. يبتسم، ولا يريحها، متلذذا بغيظها.

في الليل، يمرح من يعشقون المرح، ويجزل من يركبون العطاء، ويستمتع هو بسرعة القيادة وهدوء الشوارع، التي يكتشف ما غاب من جمالها في النهار. في الليل أيضا، يخرج السكارى، وتركب العاهرات إلى حيث الـ (عمل)، ثم يعدن مع الفجر. بعضهن تتفق معه أن يعود إليها في الساعة كذا، فيعود، ويتابعها في المرآة، يستكشف أثر الليلة عليها قبل وبعد.

في الليل نجدة، حين لا يتعشم المضطر للنزول في نجدة، فيجده لنجدته. وحين يشعر باضطرار زبونه، يحتسب مشواره لأجل تلك الكفة الفارغة تقريبا في ميزانه، وقد لا يأخذ أجرته.

في الصباح ينام، البيت هادئ والأبناء في مدارسهم، وأمه وزوجته في المطبخ، أو على الهاتف تثرثرن، أو أشياء أُخر. يصحو حين يشم رائحة الطهو، فيعرف الشهية– لو نزل للعمل صباحا، لعاد بعد أن تضيع الروائح والشهية–، ينادي طالبا الغداء، قبل أن يأتي الصغار فيصبح الأكل كالواجب المدرسي.

بعض الاسترخاء، الشاي، مغازلة بنات الجيران المتعطشات لنظرة رجل تروي مراهقتهن، وتزرع الأنوثة في أرواحهن، ثم يدخل من الشرفة وقد أفعمته الرجولة –الذكورة–، فيقضي على المتبقي من تلك الزوجة المنهكة مع أبنائها قبل أن ينزل.

إلى القهوة أولا، بعض المزاج لا ضير منه، قبل "استعنَّا عالشقا بالله". يودع رفاقا سيذهبون للنوم، ويركب التاكسي، ويبدأ العمل.

في الليل، زبائن لا يأتي بهم النهار.. ليسوا السكارى، ولا العاهرات، ولا المضطرين. في الليل زبائن لا تحبهم، هكذا بلا سبب.

وحين أتوا، لم يعد بالبركة، ولا بعطور العاهرات..لم يعد إلى النهار، ولا إلى رائحة الطهو، ولا الشاي، ولا مغازلة البنات..

في الليل، كمين!

الطويل

كل لعنات الأرض والسماء على من اخترع الصابون زلقًا. باب الحمّام مغلق، وهو لا يستطيع الوقوف. فكر أن يصرخ، ما أحقر أن تقطن فيللا في منطقة راقية، وتغلق نوافذك.. من سيسمع صراخك إن صرخت؟!

*****

كل حلمي أن أمد رجلي دون أن يدفعها أحدهم للقرفصة.. أمي تقول لأخي الوليد، وهي قد تخطت الأربعين: "افرد طولك اللي ربنا عطاهولك". فأقول له في سرّي: "افرد طولك قبل ما يبقى لك طول وما تفردوش". فقط حين كنت أمرض، فلا أذهب إلى المدرسة، وكلهم يذهبون، إلا الصغير. نستأثر معا بالفراش، وأضحك، وأقول له "افرد طولك يا يوسف، أنا فارد طولي أنا كمان، أنا أخوك الكبير"..

كل حلمي أن آكل في طبق لا يمد أحد غيري يده فيه.. أن أدرك مرة هل أكلت رغيفي حقًا، أم أن أحدهم اقتطع منه دون أن أنتبه.. كل حلمي أن أدخل الحمام وقت تمتلئ مثانتي، دون انتظار ولفلفة لقدميّ والتشاغل بتفكيري محاولاً منع تسرب نجاستي، خاصة في الشتاء. كل حلمي أن يمكنني سماع ما أقول حين أقرأ دروسي، فلا أقرأ النحو، لأسمعه علومًا أو أناشيد أطفال.

أعجب لتساؤلات أمي الساذجة: "أنت رفيع كده ليه، الأكل ما بيمريش عليك؟" ، "قعدتك عالمذاكرة دي كلها آخرتها النمر المهببة دي! هو أنت غبي طيب، نشوف لك صنعة بدل وجع قلب المدارس؟"

أغتاظ منها حين تتهمني بقلة الأدب لتكرار إصابتي بالتهاب المثانة، وتقول إن "الحاجات دي بدري عليك قوي ما تلم نفسك يا ابن امبارح!". شرح لها طبيب المستوصف أكثر من مرة أن الأمر يتعلق بحبس البول، فتنسى أن حمام بيتنا – عفوًا حجرتنا– مشترك بطابور مع الجيران. تصر أنني (باعمل قلة أدب).. تمنيت لو أجترئ على سؤالها عن تخيلها لكيفية قلة الأدب، وأنا مقرفص، ركبي في صدري، تتقاتل قدماي وأقدامهم لأجل شبر نمد فيه أطوالنا على الفراش!

*****

الإنهاك، الجوع، الدوار الذي بدأ.. بدت النهاية قريبة جدا؛ ولكن ما أحقرها نهاية أن تموت في حمّام!

تبًا لكل أولئك الذين يتصلون، ولا يتعجبون من عدم رده فيأتون لنجدته. لولا أنه أوصل الهاتف بشاحنه قبل دخوله الحمام، لفصل منذ فترة لكثرة الرنين. كلهم أغبياء.

*****

كنت أقول لهم بثقة إني لن أكون منالاً سهلاً، يصل إليَّ كل من هب ودب. أفهمتهم أن ردي عليهم لن يكون اعتياديا، بل فقط حين أجد فراغا من وقتي أستطيع فيه أن أنصت لسلامهم وأخبارهم. عوَّدتهم – حتى أمي– أن يدعوني لحالي وانشغالي، فنجاحي ليس سهلا وسط صراعات السوق.

للثراء هيبة فرضت نفسها، فآثروني بالطاعة، وعرفوا أن عليهم – إن لم أرد عليهم– ألا يتصلوا حتى أتصل أنا.. وسأتصل وإن غبت أيامًا.

أنا لا أستكبر عليهم أبدًا، ولكن للمقامات أن تُحفظ. لهم في ذلك مصلحة، ومصالح.. خاصة أني ليس لي من أهل سواهم، فلم أتزوج.

*****

لو أن له رفيقة، لنفعته في هذا الموقف.. لكن ذمته اليقظة، لم ترض أن يأسر إحداهن وليس له في (قلة الأدب) مكان. هل ستنفعه الآن تلك الذمة اليقظة؟

الهاتف يرن كثيرًا.. يتوقف ثم يرن.. يتوقف ثم يرن.. وهو يغيب عن وعيه، بأمل أن هذه المرة هناك من يصر أن يجده.

*****

السواد يعتلي الملابس كلها.. العجوز تبكي.. "مات مقرفص يا عيني زي ما كان بينام وهو صغير في وسطنا".. بينما يتأمل يوسف – الصغير – الفيلا مدققا، ويفرد طوله!

المؤلفان

- **إيمان الدواخلي**

طبيبة تخدير سابقا. مؤسسة قسم القصة بمنتدى التكية الأدبي وراعية مسابقة التكية السنوية. قائمة على ورشة الكتابة الإبداعية بمركز the workshop التنموي.

الإصدارات: (**حواديت الست الدكتورة**) متتالية قصصية ورقيًا ضمن إصدارات التكية، والكترونيًا مع دار حروف منثورة. (**ديكولتيه**) مجموعة قصصية إلكترونيًا مع الدار العربية للعلوم، ورقيا مع دار اكتب. (**جمع تكسير**) قصص، (**غادة**) رواية، (**الأَمَة تلد**) رواية، (**أذان السندباد**) رواية ورقيا مع دار اكتب. (**اضحكي**) قصص ورقيا عن دار دوّن. (**زنجبيلك وحياة أمي**) ساخر، مع الشاعر ياسر رزق وبعض ضيوف الشرف من جماعة التكية عن دار إبداع. (**عبث العبيد**) روايات قصيرة عن دار اكتب. بالإضافة لعدة مشاركات في إصدارات جماعية: (**حتى القهوة أصابها البرود، على باب الغربة، فأر في المصيدة، رسائل إلى الرئيس، نوافذ مواربة**). وبعض القصص بالصحف الإلكترونية وصحيفة الرؤية الكويتية وصحيفة عين ومجلة حريتي، وكتابة مقدمات بعض الأعمال للكتّاب الشباب، مصححة لغوية ومحررة أدبية.

- **محمد عبد القوي مصيلحي**

روائي وقاص مصري من مواليد شبرا الخيمة عام 1986. درس الحاسب الآلي، وكتب العديد من الروايات والقصص القصيرة، والمقالات التي نشرت على موقع facebook، ومسرحية واحدة. صدرت له المجموعة القصصية (**طريق النعناع**) دار **اكتب** 2011، رواية (**بورتريه**) دار **اكتب** 2012. رواية (**ليليان**) دار **ن** 2013. عضو مؤسس في جماعة **نوفيلا** الأدبية.

http://www.facebook.com/mamosi7y

mo7ammadamosil7y@gmail.com

mosil7y@yahoo.com

المحتويات

- **مقدمة** ٥

- **الباب الأول** ٧

قصص تفاعلية بقلم المؤلفين

- إسكيمو ٩
- وجهات نظر ٢١
- بطاقة شخصية ٢٩
- مناورة ٣٥
- الناس مقامات ٤٣

- **الباب الثاني** ٤٩

قصص بقلم محمد عبد القوي مصيلحي

- شؤون داخلية ٥١
- الحرباء ٨٩
- أوراق تقويم مبعثرة ٩٧
- الطرق على أبواب الجحيم ١٠٧
- قوانين الفوضى ١١٥

■ **الباب الثالث** ١٢٣

قصص بقلم إيمان الدواخلي

- قصص قصيرة جدًا ١٢٥
- كابتشينو ١٢٩
- صبغة شعر ١٣٣
- ليلة على سطح دارنا ١٣٧
- الركن ١٤١
- مالهم؟! ١٤٥
- وطن ١٤٩
- حور ١٥١
- تاكسي سواريه ١٥٥
- الطويل ١٥٩

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧